الفصل الأول

عقيدة المرأة المسلمة وإيمانها

البحث الأول:

مبادئ عقيدة المرأة المسلمة

آمِني أيَّتها المؤمنةُ بما يلي، وصدّقي به، واعتقديه في نفسِكِ، فإنّه الحقّ ولا باطلَ فيه البتّة[1].

آمِني وصدّقي واعتقدِي: أنّ الذي خلقَكِ، وخلقَ الكونَ كلّه علويه وسفليه من ذرات الأرضِ إلى مجراتِ السّماءِ، وما بينَ ذلك من إنسان وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ هو ربُّكِ، وربُّ كلِّ شيءٍ حولك، ومن فوقَكِ، ومن تحتَكِ، ممّا علمتِ وأدركتِ ومما لا تعلمين ولا تُدركين، هو ربُّكِ وربُّ العالمينَ اسْمُهُ الله، ومعناه المعبُودُ الحقُّ الذي استحقَّ العبادةَ دونَ سواه. كل الخلائق يألهونَهُ طاعةً له، ورغبةً فيه، ورهبةً منه. وإن حدثتك نفسُكِ، أو قال لك شيطانٌ من الإنس أو الجنّ: كيفَ تُصدّقين بإله ما رأيتيهِ؟ فقولي له: ليستِ الرّؤيةُ شرطاً للتّصديق بالشيء، فالنّاس منذ أنْ كانوا يؤمنونَ بأشياءَ ويُصدّقون بوجودِها ويعتقدون صحتها، وما رأوها، ولا رأوا حتى من رآها، ومن أمثلةِ ذلك: فإنّ الإنسان ما رأى جدّ جدِّ أبيه، أو جدّ جدِّ أمّهِ، ومع هذا فهو مؤمنٌ مصدّقٌ أنّ له جَدًّا أعلى هو جدُّ أبيه أو أُمّهِ.

ثانياً: الثّياب التي هي عليكِ الآن تلبسينَها هل رأيتِ مَنْ صنَعَها بآلاتِهِ؟

---

(١) المرأة المسلمة للشيخ أبي بكر الجزائري: ص٧-١٧.

والجوابُ: لا، ولكنّكِ مؤمنةٌ مصدّقةٌ بأنّ صانعاً صنعَها وباعَها حتى وصلتْ إليكِ.

ثالثاً: هل رأيتِ مدينة طوكيو باليابان، أو رأيتِ من رآها؟ والجواب غالباً: لا، ولكنكِ مؤمنةٌ ومصدّقةٌ بوجودِ هذهِ المدينةِ لمجردِ أنْ سمعتِ النّاسَ يُخبرون بها ويتحدَّثُونَ عنها.

رابعاً: إذا أخبر فتاةً والدُها أنّ لها أخاً شقيقاً بأمريكا يُقال له «أحمد» وهي ما رأتْهُ لأنّه ولد قبلَها وسافرَ لطلبِ العلم الصناعي ولم يرجعْ، فهلْ تُكذّبُ والدَها، وتكفُر بقولِه: أنّ لها أخاً لكونها ما رأتْهُ؟ والجواب: لا، بلْ تُصدّقُ والدَها، وتُؤمِنُ بما أخبرَها به عن أخيها أحمد، فكيفَ إذا ورَدَ إليها خطابٌ منه وأرسلَ إليها سواراً من ذهبٍ؟ لا شكَّ أنّ إيمانَها به يزدادُ قوّةً حتى يبلغ اليقين، بحيث لو أنكرَ وجودَ أخيها منكرٌ لكذّبَتْهُ، وسخرتْ منه، وعدّته لا عقلَ له. وكيفَ بها إذا أرسلَ إليها خطاباً آخر وصفَ لها فيه نفسَهُ بأنّه أبيض الجسم، جميل الوجه ربعة ما هو بالطويل ولا القصير أخلاقه فاضلة، يُحبُّ الخيرَ والإحسان ويفعلهما؟ أليست تزدادُ معرفةً به وإيماناً ويقيناً بوجوده؟ بلى، ومع هذا كلّه فإنّها لم تَرَهُ قطُّ.

خامساً: هل لكِ أيَّتُها المؤمنةُ عَقْلٌ تُفرّقينَ به بينَ الفَحْم والشّحم لسوادِ الأوّلِ وبياضِ الثاني، وبينَ الظّلمة والنّور وبينَ الظّلّ والحَرُورِ، وبينَ التّمرِ والجَمْرِ؟ والجواب: نعم. فإنْ قيلَ لكِ: أينَ عقلُكِ، رأيتِهِ؟ فإنّك تقولين: لا أدري وما رأيتُهُ، وكيف إذاً تؤمنين بما لم تَرَيْ؟ والجواب: أنتِ مؤمنةٌ بوجودِ عقلِكِ؛ لأنّك ترين آثارَهُ الدّالةَ عليه، وهي المعرفة والتّمييز والإدراك للمحسوسات والمعقُولاتِ، فلا يمكنك أن تنكري عقلكِ أو تُكذّبي به أبداً؛ فكذلك الله تبارك وتعالى، فإنّنا وإن لم نَرَهُ، ولم نَرَ مَنْ رآهُ، فإنّنا مؤمنُونَ به مُوقِنُونَ، لأن آثارَهُ دالّةٌ على وجوده وقدرته وعلمه وحكمتِه ولطفِه ورحمتِه، إذْ يكفي في الدّلالة على وجودِ الشّيء آثارِهِ، فلننظرْ إلى ثوبٍ مَخِيطٍ، أو جدارٍ مبني، أو شجرةٍ مغرُوسةٍ، فإنّ الثّوبَ المخيط دالٌّ عقلاً على إنسانٍ خاطه بآلته،

وإنّ الجدارَ المبني دالٌّ عقلاً على إنسان بناهُ، والشّجرة المغروسة دالةٌ على إنسانٍ غرَسَها كذلك. ولم تحتج أبداً إلى رؤية الخياط والباني والغارس حتى نؤمنَ بوجودِهِم، ونصدِّقَ بعلمِهِم وقدرتِهِم، إذْ آثارُهُم دالّةٌ على وجودِهِم وعلمِهِم وقدرتِهِم. فكذلك الرَّبُّ تبارك وتعالى دَلَّ على وجودِه وعلى قدرتِهِ وعلمِهِ وحكمتِهِ في مخلوقاته من الأرض والسماء وما بينهما، وما فيهما من عظيمِ المخلوقاتِ وعجائِبها.

وأكبرُ دلالةٍ على وجودِ الله وقدرتِهِ وعلمِهِ وحكمتِهِ كتابُهُ الّذي أنزلَهُ على رسولِه محمّدٍ صلواتُ الله عليه وسلامُهُ، وكلامُهُ وهو القرآنُ العظيمُ الذي حوى من العلوم والمعارف ما يُحيّر العقلَ البشري أنْ يصدُرَ مثلُهُ عن غيرِ الله تعالى، وقد تحدَّى ﷺ العربَ بالإتيانِ بسورةٍ مثله فعجزُوا!! فهل يُعقل أن يكونَ مثلَ هذا الكتاب الجامعِ لأنواعِ العلومِ من شرائعَ وآدابٍ وحكم وتاريخٍ وهداياتٍ وإصلاح في كلّ مجالاتِ الحياةِ؛ ولا يكون له منزّلٌ أنزلَهُ؟!. فهل يُعقلُ أن يكونَ منزِّلُهُ غيرَ موجودٍ، ولا عليم ولا حكيم، ولا قدير ولا سميع ولا بصير؟ اللّهمّ لا، فإنّ كأساً من ماءٍ على منضدةٍ يُحيّر العقلَ أن يكونَ وُجِد من نفسِه، ولم يكنْ له مُوجد من غير ذاته، فكيفَ إذاً بالعوالِمِ كلِّها.

إنّ كلَّ كائنٍ من الكائنات في السّماء أو الأرض في البر أو البحر دالٌّ على الله تعالى، وشاهدٌ على قدرتِهِ وعلمِهِ وحكمتِهِ، ولنتدبَّرْ قولَهُ تعالى في كتابه وهو يُقرّر وجودَهُ وقدرتَهُ وعلمَهُ وحكمتَهُ ورحمتَهُ وكمالَهُ المطلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦.

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١).

ولنتدبّرْ ما ذكرَ في كتابِهِ من الآياتِ الدّالةِ على قدرتِه وعلمِه ورحمتِه وحكمتِه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(٧).

فإذا عرفتِ اللهَ تعالى - أيَّتُها المؤمنةُ بآياتِه ومخلوقاتِهِ - فاعْلَمِي أنّ لله تعالى أسماءً بلغت تسعةً وتسعين اسْماً.

جاء في الصّحيح: «**إن لله تعالى مائةَ اسمٍ إلاّ اسماً واحداً، مَنْ أحْصَاهَا دخلَ الجنَّةَ**»(٨). فادعيهِ بها، وناديهِ بما تشائين منها، وكلُّها أسماءٌ حُسْنَى، وصفاتٌ عُلْيَا.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢٠.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٧.
(٤) سورة الروم، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٦) سورة الروم، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الروم، الآية: ٢٥.
(٨) البخاري ٩/ ١٤٥.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١] . فلكِ أنْ تقُولي: يا ربُّ يا ربُّ أو يا الله يا الله، أو يا رحمٰنُ يا رحمٰنُ، أو يا أرحمُ الراحمين، أو يا ذَا الجَلالِ والإكرامِ، أو يا حيُّ يا قيّوم، يا بديعُ السّمواتِ والأرضِ، أو يا لطيفُ يا خبيرُ، أو يا سميعُ يا بصيرُ، وسَلِي حَاجتَكِ وألحِّي في دعائِكِ، فإنّ الله تعالى يُحب المُلحّينَ في الدّعاء.

إذا حققتِ أيّتُها المؤمنةُ إيمانَكِ بربِّكِ تعالى، وتمّتْ لكِ معرفتُهُ ﷻ بأسمائِهِ الحُسْنَى، وصفاتِهِ العُلْيَا، فاعْلَمِي أنّ الله تعالى قد أخبرَ عن خلقٍ من مخلوقاتِهِ لا يُرَوْنَ بالبصر، ولا يُدْرَكُون بالحسّ، وأمرَ بالإيمانِ بهم أي بالتّصديق بوجودِهِمْ، وهُمُ الملائكةُ والجنُّ والشّياطين فوجبَ الإيمانُ بهم، فلا يصحُّ إيمانُ العبدِ إلاّ إذا آمَنَ بهم، وبكلِّ ما أمرَ الله تعالى بالإيمان به.

والإيمان بالملائكة والجنّ والشّياطين، وإنْ كان من الغيب فإنّ هناك آثاراً محسوسةً تدلُّ عليهم، وتُثبتُ وجودَهُم.

ومن تلك الآثار الدّالّة على وُجودِ الملائكةِ:

١ - القرآنُ الكريم: فقد نزلَ بواسطةِ جبريل عليه السلام إلى النّبيّ ﷺ.

٢ - قتال الملائكة في غزوة بدرٍ حيثُ سُمِعَتْ أصواتُهم، ورُؤيت ضَرَباتُهم على أجسام المشركين المقتولين.

٣ - قبضُ مَلَك الموتِ روحَ العبدِ والعروج به إلى السّماء، حتى إنّ بصرَ العبد يبقى مفتُوحاً شاخصاً إلى السّماء ينظرُ إلى روحِهِ وهو يعرج به إلى السّماء.

٤ - ما يجدُه المؤمنُ في نفسِهِ من الرّغبة في الخيرِ، والميل إلى المعروف والإحسان نتيجةً للمّة المَلَكِ بقلبِهِ، إذْ قالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إنّ للشّيطان لَمّةً بابنِ آدم وللمَلَكِ لَمّةً**»[٢].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) رواه الترمذي، ج ٥/ ٢١٩-٢٢٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ومن الآثار الدالّة على الجنّ والشياطين:

١ - أغلبُ الصَّرْع الّذي يُصيبُ الإنسانَ، وحديث الجانّ على لسان المصروع بما لم يكن للمصروع معرفةٌ به، وبلغة لا يعرفها أقوى دليلٍ على وُجُودِ الجنّ، إذْ هو أثرٌ ظاهرٌ محسوسٌ لا يُنكره عاقلٌ.

٢ - ما جاء في القرآن الكريم عن الجنّ وخاصّةً في سورة الجنّ منه.

٣ - إخبارُ النّبيّ ﷺ عن الجنّ وأحاديثه عنهم وهي كثيرةٌ كحديث عليّ رضي الله عنه عند أحمد والترمذي وابن ماجه: «**سِتْرُ ما بينَ أعينِ الجنِّ وعوراتِ بني آدَمَ إذا دخلَ أحدُهُم الخَلاَءَ؛ أن يقولَ: بسم الله**»(١).

٤ - ما يجده العبدُ في نفسه من الميل إلى الشرّ والرّغبة فيه، وما يقعُ من فساد وباطل في الأرض من الزّنا، والقتل، والخيانة كلُّ ذلك من تزيين الشيطان، ودفع الإنسان إليه وحمله عليه وهو أثرٌ ظاهرٌ محسوس، إذْ لو تُرِكَ الإنسانُ لفطرتِهِ ما غشي كبائرَ الإثْمِ والفَوَاحِشِ.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**إنّ للشيطان لَمّةً بابنِ آدمَ وللمَلَكِ لَمّةً، فأمّا لَمّةُ الشّيطان فإيعادٌ بالشّرّ وتكذيبٌ بالحقّ، وأمّا لَمّةُ المَلَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقّ، فمَنْ وجدَ ذلك فليعلم أنّه مِنَ الله تعالى فليحمد الله، ومَنْ وَجَدَ الأخرى فليتعوّذْ بالله مِنَ الشّيطان**»(٢).

وفي القرآن الكريم: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(٣).

إنّ كلّ ما ذكرنا لكِ أيّتُها المؤمنة من أدلّة الملائكةِ، والجانّ والشّيطان إنّما هو من باب طَرْدِ الوَسْواس عن النّفْس فقط، إذ أخبارُ الله تعالى، في كتابه، وعلى لسان رسولِهِ عمّا ذكرنا من الملائكة والجان والشّيطان كافية في إثبات ذلك وتقريره، إذْ أخبارُ الله تعالى لا تحتمل إلاّ الصّدق بحال من الأحوال، فمن المستحيلِ عقلاً وشرعاً أنْ تكون أخبارُ الله تعالى خلاف ما يُخبرُ به ﷻ.

---

(١) رواه الترمذي ٢/ ٥٠٤، وابن ماجه ١/ ١٠٩، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي، ج ٥/ ٢١٩، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٣.

واعْلَمِي أيَّتُها المؤمنة أنّ من إتمامِ عقيدتِك إيمانُكِ بكتُبِ اللهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ، ولقد تكفّل القرآن الكريم بوصفِ اليومِ الآخرِ، وعرض كل ما فيه من بعثٍ وحشرٍ، وصُحُفٍ، وميزانٍ وحسابٍ وجنّةٍ، ونعيمها، ونارٍ، وعذابها، وبقراءة سُوَرِ الرحمٰن، والواقعة وقّ، والزّمر، يقف القارئ على كل ذلك مفصلاً.

أمّا الكتبُ والرُّسُلُ فالإيمانُ بهما ليسَ من الإيمان بالغيب كالإيمان بالله واليوم الآخِرِ، إذْ الكتبُ كالرّسل هما من المُدْرَكِ بحاسَةِ السّمع والبصر، فالكتبُ مقروءةٌ مسموعةٌ، والرُّسلُ عليهم السلام مرئيُّون مشاهَدُون، وآخر الكتبِ نزُولاً هو القرآن الكريمُ وهو بين أيدينا نحفظُهُ في صُدُورنا، ونكتبُهُ في سطورِنَا، نقرأهُ بألسنتِنَا. وآخرُ الرُّسل بعثَهُ الله هو نبيُّنَا محمّدٌ ﷺ خاتَمُ الأنبياء، وقد شهد القرآنُ الكريمُ المنزّلُ عليهِ ببعثتِهِ ورسالتِهِ كما شهد ببعثِهِ الرُّسلَ قبلَهُ، والكتبُ المنزّلةُ عليهم، وهي التوراة المنزّلة على موسى والإنجيل المنزّل على عيسى والزّبور المنزل على داود عليهم السلام.

والإيمانُ بالكتبِ لازِمٌ للإيمان بالله تعالى وملائكته، إذ الكتبُ أوحاهَا الله تعالى بواسطةِ المَلَكِ المكلَّفِ بذلك وهو جبريلُ عليه السلام.

فالكتبُ دَالّةٌ على وجودِ الله تعالى، وعلى وجودِ الملائكة التي أُوحيتْ ووصلتْ بواسطتها، وعلى وجودِ الرُّسُلِ حيث نزلتْ عليهِم، وبلّغُوها إلى النّاسِ بإذنِ الله تعالى.

وأمّا اليومُ الآخِرُ فالإيمانُ به جُزءٌ من عقيدةِ المؤمنين والمؤمنات، فقد أخبر الله تعالى به، ووصَفَهُ وأمرَ بهِ في كتابِه، وعلى لسانِ رسولِه وهو واقع لا محالةَ، وآتٍ بلا ريبٍ، إذْ فيه يتمُّ الجزاءُ على الأعمالِ التي يقومُ بها المكلّفون في هذه الحياة؛ ومن باب طردِ الوُسْوَاسِ عن المؤمنة نذكرُ الأدلّة المحسوسةَ الدّالّةَ على وُجُودِ الدّارِ الآخرةِ، وأنْ يومها آتٍ لا شَكَّ فيه؛ قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

ٱلْآخِرِ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿إِن كُنتُمْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٢] وقال الرسول ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَصْمُتْ»[٣]. ففي هذه الآيات والأحاديث دعوةٌ صالحةٌ إلى الإيمانِ باليومِ الآخرِ.

١ - دخولُ النّبيّ ﷺ الجنّةَ، ومشاهدتُهُ لأنهارِهَا وقُصُورِهَا، وذلك يقظة لا مناماً حيث تمّ له ليلة الإسراء والمعراج وهذا دليل لا يرد بحال، كما عرضتْ عليه ﷺ الجنّة والنّار على جدارِ المسجد وهو في الصّلاة، وقد وصفَ الله تعالى اليومَ الآخِرَ في كتابِه ما لا مزيدَ عليه، وذلك من بداية فناءِ الدّنيا إلى استقرار أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار، كما وصف الجنّة وما فيها من نعيم، والنّار وما فيها من عذاب أليم.

٢ - وجودُنَا هذا ووجودُ أنواع المتع واللّذائذ، وصنُوف الشّقاء، وضروبِ العذابِ دالٌ على وجودٍ آخرَ لنا هو أكمل وأتمّ من هذا الوُجُود، في عالم لا يقبلُ الفناءَ والزّوالَ، وهو الدّارُ الآخرةُ، إذْ قدرةُ الله تعالى التي أوجدتْ هذا العالمَ في دارِ الدّنيا هذه هي قدرة صالحة لأنْ يُوجِدَ ما هو أعظمُ من هذا الوجودِ بكلِّ ما فيه.

٣ - الأرض الممحلة الجدباء تكون ميتة لا حياة فيها، ينزلُ عليها النظر فلا تلبثُ إلاّ أيّاماً وإذا بها تهتزُّ رابيةً بأنواعِ الزّروع، ومختلفِ النّباتاتِ ذاتِ الزّهور والرّوائحِ والمنافعِ المختلفةِ، أليسَ هذا دليلٌ على المَعادِ والحياةِ الثانية بعدَ فناءِ هذه وانتهاء الحياة؟!.

قال تعالى في الاستدلال على قدرته ﷻ وعلى الحياة الثانية: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾[٥] وقال تعالى:

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٣) رواه البخاري (٨/ ١٣)، ومسلم.
(٤) سورة يس، الآية: ٣٣.
(٥) سورة الحج، الآيتان: ٥-٦.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾[1]، يعني: الخُرُوجَ من القبورِ أحياءً بعدَ الموتِ والبِلَى. ففي هذه الآيات، وغيرِها في معناها دلالةٌ عقلية وحسّيّة: أنّ مَنْ قدَرَ على الخَلْقِ والحياةِ هو قادرٌ على الإماتة والإحياء، وبهذا تقرّر بما لا شكَّ فيه أنّ اليومَ الآخِرَ والّذي يُرادُ به فناءُ هذه الحياة ونهايتُها، ووجودُ حياةٍ أخرى بعدَها وهي الدّار الآخرةُ أمرٌ حتميٌّ، مقطوعٌ به.

٤ - وجودُ ظالمين اليومَ ومظلومين، وأغنياء وفقراء، ومؤمنين محرومين، وكافرين محظوظين، ثم يموت الجميعُ موتةً سواءً، ولم يُقتصَّ للمظلوم من الظّالم، ولم يذقْ الفقيرُ طَعْمَ نعمة الغنى ولا المؤمن المحروم لذّة الحظ ونعيمه، هذه حال مقتضية عقلاً لوجود حياة أخرىَ يقتص فيها للمظلوم من الظالم ويسعد فيها المؤمن المحروم ويشقى فيها الكافر المحظوظ. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾[2].

وممّا هو جزءٌ متمّمٌ لعقيدتك أيتها المؤمنة الإيمان بالقضاء والقدر حيث أخبر تعالى به في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3]. وقالَ رسول الله ﷺ لمن سأله عن الإيمان: «**أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خيرِهِ وشرِّه**»[4]. فجعل ﷺ الإيمانَ الصحيح أن يشملَ الإيمانَ بالقدرِ حيث هو جزءٌ من الإيمان الذي لا يكمل إلاّ به.

والقَدَرُ: هو أنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد أنْ يخلقَ الكائنات خلقَ القلمَ فقالَ له: اكْتُبْ، فقال: ماذَا أكتبُ؟ قالَ: اكْتُبْ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة، فكتبَ كلَّ ما قَضَى الله تعالى بخلقِهِ، وحكَمَ بوجودِهِ من سائرِ الكائنات، فهذا هو القضاءُ، وكون المخلوقات ذات مقادير محدودة وصفات معلومة، وأزمنة وأمكنة معينة محدودة، فلا ينقص شيء ولا يزيد، ولا يتقدّم ولا يتأخر، فهذا هو القَدَرُ.

---

(١) سورة قَ، الآيات: ٩-١١.
(٢) سورة النّجم، الآية: ٣١.
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨ - ٢٩).

فالقضَاءُ والقَدَرُ، أيَّتُها المؤمنةُ هما أن تعلمِي وتُصدّقِي أنّه ما من شيءٍ وُجِدَ أو سيُوجَدُ من أوّل الحياة إلى نهايتها إلاّ وله صورةٌ في كتاب المقادير المسمّى باللّوح المحفوظ، بحيث لا يمكن أن يوجد شيء صغيراً كان أو كبيراً لم يكن الله قدْ قَضَى بوجودِهِ على صورتِهِ التي هو عليها، وفي وقتِهِ ومكانِهِ من غير تقديم ولا تأخيرٍ ولا زيادةٍ ولا نقصٍ، فما يُرَى في الحياة من غنًى أو فقرٍ أو عزٍّ أو ذُلٍّ، أو صحّةٍ أو مرضٍ أو سعادةٍ أو شقاءٍ، أو جمالٍ أو قُبْحٍ، أو ظلمٍ أو عدْلٍ، أو خيرٍ أو شرٍّ، إلاّ وقدْ قَضَى الله تعالى بهِ وقدَّرَهُ.

إنّ القدَرَ أكبرُ مظهرٍ من مظاهرِ علمِ الله وقدرتِهِ وحكمتِهِ. فانْظُرِي كيفَ يقضي الله تعالى بوجودِ الشيء ويقدِّرُهُ في صورته التي قضى وحكَمَ بوجودِها في وقتها المحدد لها، ومكانها المعين لها، وتمضي آلاف السنين والأعوام ثم يخرجُهُ تعالى في نَفْس الأحوال. وإن كانَ هذا عجبا فإنّ أعجبَ منه الإنسان العاقل المريدُ ينفذ ما كتبَ الله تعالى له أو عليهِ بكل حرية واختيار ظاناً أنّه فعل ما فعل بإرادته واختياره؛ وفي الحقيقة أنّه ما زاد على أن نفّذَ مُرَادَ الله فيما قدّرَهُ لهُ أو عليهِ!.

ومن فوائد الإيمان بالقدر ما يلي:

١ - أن يعيشَ المؤمن آمِناً غيرَ خائفٍ لعلمِهِ أنّ ما قُدِّرَ عليه كائنٌ لا مَحَالَةَ.

٢ - أنْ لا يحزنَ المؤمن على ما فاتَهُ ممّا كان يُريدُه لعلمِهِ أنّه غيرُ مقدُورٍ إذْ لو كانَ مقدوراً له لمَا فاتَهُ بحالٍ.

٣ - أنْ لا يفرَحَ المؤمنُ بما يكونُ لهُ من مالٍ، أو وَلَدٍ، أو سلطان؛ لعلمِهِ أنّ ذلك كان بقدَرِ اللهِ، وأنّه فضلُ الله عليهِ لا غير.

٤ - أنْ يعملَ المؤمن ما أذن له فيه، أو أمرَ به، ويترك ما نُهِيَ عنه وهو هادئُ البال، مطمئنُّ النّفْس، غير خائفٍ ولا حريصٍ، لعلمِهِ أنْ لا يكون إلاّ المقدور فقط.

٥ - علم المؤمن أنّ الأحداثَ والوقائعَ تتمّ بأسبابها المقدّرة معها يجعلُهُ

يأتي أسبابَ الخيرِ والفَلاَحِ، ويتجنب أسباب الشّرّ والخُسْران، وإن لم يكنْ للإيمان بالقضاء والقدر إلاّ هذه الفائدة لكفتْ! والحمدُ لله، والمنة له.

وبعد هذا العرض الموجز لمبادئ عقيدة المرأة المسلمة، نأتي إلى معرفة تفصيلها في ضوء القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشريفة.

البحث الثاني:

ثمرات هذه العقيدة الصحيحة

هذه العقيدةُ السّاميةُ المتضمّنةُ لهذه الأصولِ العظيمةِ تثمرُ لمعتقدها ثمراتٍ جليلةً كثيرةً.

فالإيمانُ بالله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ يُثمرُ للعبدِ محبةَ الله وتعظيمَهُ الموجبين للقيام بأمرِهِ واجتنابِ نهيِهِ، والقيام بأمرِ الله تعالى واجتنابِ نهيه يحصل بهما كمالُ السّعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

من ثمرات الإيمانِ بالملائكةِ:

١ - العلم بعظمةِ خالقِهِم تباركَ وتعالى وقوّتِه وسُلْطَانِهِ.

٢ - شكرهُ تعالى على عنايته بعبادِهِ حيث وكّلَ بهم من هؤلاءِ الملائكةِ من يقومُ بحفظِهم وكتابةِ أعمالِهم وغيرِ ذلك من مصالحِهِم.

٣ - محبةُ الملائكةِ على ما قامُوا به من عبادةِ الله تعالى على الوجهِ الأكملِ واستغفارِهِم للمؤمنين.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

ومن ثمراتِ الإيمانِ بالكتبِ:

١ - العلمُ برحمةِ الله تعالى وعنايتِهِ بخلقِهِ حيثُ أنزلَ لكلِّ قومٍ كتاباً يهديهِمْ بهِ.

٢ - ظهورُ حكمةِ الله تعالى حيث شرعَ في هذه الكتبِ لكلِّ أُمّةٍ ما يناسبُهَا، وكان خاتَمُ هذه الكتبِ القرآنُ العظيمُ مناسباً لجميع الخلقِ في كل عصرٍ ومكانٍ إلى يوم القيامة.

٣ - شكرُ نعمةِ الله تعالى على ذلك.

ومن ثمرات الإيمان بالرّسُلِ:

١ - العلمُ برحمةِ اللهِ تعالى وعنايتِهِ بخلقِهِ حيثُ أرسلَ إليهم أولئكَ الرُّسُلَ الكرامَ للهدايةِ والإرشادِ.

٢ - شكرهُ تعالى على هذه النّعمة الكُبْرَى.

٣ - محبةُ الرُّسل وتوقيرُهُمْ والثّناءُ عليهم بما يليقُ بهِمْ، لأنّهم رُسُلُ الله تعالى وخلاصةُ عبيدِهِ، قامُوا لله بعبادتِهِ وتبليغِ رسالتِهِ، والنُّصحِ لعبادِهِ والصّبرِ على أذاهُم.

ومن ثمراتِ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ:

١ - الحرصُ على طاعةِ الله تعالى رغبةً في ثوابِ ذلك اليومِ، والبُعْدُ عن معصيتِهِ خوفاً من عقابِ ذلك اليوم.

٢ - تسليةُ المؤمنِ عمّا يفوتُهُ من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوُهُ من نعيم الآخرةِ وثوابِها.

ومن ثمرات الإيمان بالقَدَرِ:

١ - الاعتمادُ على الله تعالى عندَ فعلِ الأسبابِ، لأنّ السّبب والمُسَبَّب كِلاَهما بقضاءِ الله وقدَرِهِ.

٢ - راحةُ النّفْس وطمأنينةُ القلبِ لأنّه متى علم أنّ ذلك بقضاء الله تعالى وأنّ المكروه كائن لا محالة ارتاحت النّفْس واطمأنّ القلبُ ورضي بقضاءِ الرّبّ فلا أحدَ أطيبُ عَيْشاً وأريحُ نفساً وأقوى طمأنينةً ممّن آمَنَ بالقَدَرِ.

٣ - طَرْدُ الإعجابِ بالنّفْس عندَ حصولِ المرادِ، لأنّ حصولَ ذلك نعمةٌ مِنَ الله بما قدَّرَهُ من أسبابِ الخيرِ والنّجاح، فيشكرُ الله تعالى على ذلك، ويَدَعُ الإعجابَ.

٤ - طردُ القَلَقِ والضَّجَرِ عندَ فواتِ المرادِ أو حصولِ المكروهِ، لأنّ ذلك بقضاءِ الله تعالى الذي له مُلْك السّمٰواتِ والأرضِ وهو كائنٌ لا محالة، فيصبرُ على ذلك ويحتسب الأجْرَ.

وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1].

فنسألُ الله تعالى أن يُثبتنا على هذه العقيدة وأنْ يُحقّق لنا ثمراتها، ويزيدنا من فضلِهِ، وأنْ لا يزيغَ قلُوبَنَا بعدَ إذْ هَدَانَا وأنْ يهبَ لنا منه رحمةً، إنّه هو الوَهّابُ.

والحمدُ لله ربِّ العَالَمِين.

البحث الثالث:

عقيدة المرأة المسلمة من القرآن والسنّة

عقيدة المرأة المسلمة: الإيمانُ بالله وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليوم الآخر والقَدرِ خيرِهِ وشرّهِ، فتُؤمِنُ بربُوبيّةِ اللهِ تعالى؛ أيْ: بأنّه الرّبُّ الخَالِقُ المَلِكُ المدبّر لجميع الأمور.

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢-٢٣.

وتُؤمِنُ بألُوهيّةِ الله تعالى؛ أيْ: بأنّه الإلهُ الحقُّ، وكلُّ معبُودٍ سَواهُ باطِلٌ.

وتُؤمِنُ بأسمائِهِ وصفاتِه، أيْ: بأنّ له الأسماء الحُسْنَى والصّفات الكاملة العُلْيَا.

وتُؤمِن بوحدانيتِهِ في ذلك، أي: بأنّه لا شريكَ له في ربوبيتِهِ ولا في أُلوهيَّته، ولا في أسمائِهِ وصفاتِهِ، قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(١).

تُؤمن بأنّه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).

وتُؤمن بأنّه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾(٣).

وتُؤمن بأنّ لهُ مُلْكُ السّمٰواتِ والأرض: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾(٤).

وتُؤمن بأنّه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾(٥).

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الحشر، الآيات: ٢٢-٢٤.
(٤) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩-٥٠.
(٥) سورة الشورى، الآيتان: ١١-١٢.

وتُؤمن بأنّه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وتُؤمن بأنّه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وتُؤمِنُ بأنّ الله: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣).

وتُؤمن بأنّ الله يتكلّمُ بما شاءَ متى شاءَ كيفَ شاءَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٤). ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾(٥)، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾(٦).

وتُؤمن بأنّه: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾(٧). ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٨).

وتُؤمن بأنّ كلماتِهِ أتمُّ الكلماتِ صِدْقاً في الأخبار، وعَدْلاً في الأحكام، وحُسْناً في الحديث، قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(٩). وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾(١٠).

وتُؤمن بأنّ القرآنَ الكريم كلامُ الله تعالى تكلّمَ بهِ حقًّا وألْقاهُ إلى جبريلَ، فنزَلَ بهِ جبريلُ على قلبِ النّبيِّ ﷺ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(١١)، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(١٢).

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٦) سورة مريم، الآية: ٥٢.
(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٨) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٩) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.
(١٠) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(١١) سورة النحل، الآية: ١٠٢.
(١٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

قال الإمام الطحاوي: وإنّ القرآنَ كلامُ الله، منه بدا بلا كيفيةٍ قولاً، وأنزلَهُ على رسولِه وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البريّة، فمَنْ سمعه فزعم أنّه كلام البشر فقد كفر.

وقوله: منه بدَا كذلك قاله السّلفُ، يقولُون: منه بدَا وإليه يعُود؛ أي هو المتكلّم به، فمنه بدَا، وإليه يعودُ؛ أي: يُرفع من الصّدور والمصاحف قبل يوم القيامة، وذلك من علاماتها الكبرى - والعياذ بالله أن ندرك ذلك الزّمان.

وتُؤمِنُ بأنّ الله ﷻ عَلِيٌّ على خلقِهِ بذاتِهِ وصفاتِهِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(١)، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٢).

وتُؤمن بأنّه سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾(٣) واستواؤهُ على العرشِ علوّهُ عليه بذاتِهِ عُلوّاً خاصّاً يَلِيقُ بجلالِهِ وعظمتِهِ، لا يعلمُ كيفيَّتَهُ إلاّ هُوَ.

وتُؤمن بأنّه تعالى مع خلقِهِ وهو على عرشِهِ يعلمُ أحوالَهُمْ ويسمعُ أقوالَهُمْ، ويرَى أفعالَهُمْ ويُدبّرُ أُمورَهُمْ، يَرْزُقُ الفقيرَ ويُجْبِرُ الكسيرَ، يُؤتِي المُلْكَ مَنْ يشاء، وينزِعُ المُلْكَ ممَّنَ يشاءُ، ويُعزّ مَنْ يشاءُ، ويُذلُّ من يشاءُ، بيدِهِ الخيرُ وهو على كلّ شيءٍ قدير. ومن كان هذا شأنُهُ كانَ مع خلقِهِ حقيقةً وإن كان فوقَهُمْ على عرشِهِ حقيقةً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٤).

ولا نقولُ كما تقولُ الحُلُوليّةُ من الجهمية وغيرِهم إنّه مع خلقِهِ في الأرضِ في كل مكان، فهذا القولُ مُنافٍ لتنزيهه عن المكان. وتَرَى المؤمنةُ أنّ مَنْ قالَ ذلك فهو كافرٌ أو ضالٌّ؛ لأنّه وَصَفَ الله بما لا يليقُ به من النّقائص.

وتُؤمن بما أخبرَ بِهِ عنه رسولُهُ ﷺ أنّه ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلى السّماءِ الدّنيا، حينَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

يَبْقَى ثُلُثُ اللّيلِ الأخير فيقولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فأستجيبَ لهُ، مَنْ يسألُنِي فأُعطيَهُ، مَنْ يستغفرُنِي فأغفرَ لهُ»(١).

وتُؤمنُ بأنّه ﷺ يأتِي يومَ المَعَادِ للفَصْلِ بينَ العبادِ لقولهِ تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

وتُؤمن بأنّه تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٣).

وتُؤمن بأنّ إرادتَهُ تعالى نوعان:

كونيةٌ يقعُ بها مُرَادُهُ ولا يلزمُ أن يكون مَحْبُوباً لهُ وهي الّتي بمعنى المشيئة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(٤) ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾(٥).

وشرعيةٌ لا يلزمُ بها وقوعُ المُرَادِ، ولا يكونُ المرادُ فيها إلاّ محبُوباً لهُ، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(٦) وهذا مجال التكليف الذي يُطاعُ الله تعالى فيه ويُعْصَى، فمَنْ أطاعَهُ أثابَهُ، ومن عصاهُ حاسبه، إنْ شاء عذّبه وإن شاء عَفَا عنه.

وتُؤمن بأنّ مُرَادَهُ الكوني والشّرعي تابعٌ لحكمتِهِ، فكلُّ ما قَضَاهُ كوناً أو تعبَّدَ بهِ خلقَهُ شَرْعاً؛ فإنّه لحكمةٍ، وعلى وفق الحكمةِ سواءٌ علمنَا منها ما نعلمُ أو

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١/ ٢١٤، والبخاري في صحيحه ٩/ ٢٥-٢٦، في كتاب: التوحيد، ومسلم في صحيحه ١/ ٥٢١، صلاة المسافرين، جميعهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفُوعاً إلى النّبيّ ﷺ.

(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢١-٢٣.

(٣) سورة البروج، الآية: ١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٦) سورة النّساء، الآية: ٢٧.

تقاصَرَتْ عقُولُنَا عن ذلك: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾(١) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢).

وتُؤمِنُ بأنّ الله تعالى يُحِبُّ أولياءَهُ وهُمْ يُحبُّونَهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٣) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(٤) ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(٥) ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٦) ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

وتُؤمن بأنّ الله تعالى يَرْضَى ما شرَعَهُ مِنَ الأعمالِ والأقوالِ، وتكرَهُ ما نَهى عنهُ منها: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(٨) ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾(٩).

وتُؤمن بأنّ الله تعالى يرضَى عن الّذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصّالحاتِ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(١٠).

وتؤمن بأنّ الله تعالى يغضبُ على من يستحقُ الغضبَ من الكافرين وغيرهم: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾(١١) ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١٢).

وتُؤمن بأنّ لله تعالى وجهاً مَوْصوفاً بالجَلالِ والإكْرام: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١٣).

وتُؤمنُ بأنّ لله تعالى يَدَيْنِ كريمَتينِ عظيمتين: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(١٤) و﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٥).

---

(١) سورة التين، الآية: ٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٩) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(١٠) سورة البيّنة، الآية: ٨.
(١١) سورة الفتح، الآية: ٦.
(١٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(١٣) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٧.
(١٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(١٥) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى أثبتَ لنفسِهِ البَصَرَ والعين، قال سبحانه: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾(١).

وقالَ النّبيّ ﷺ: «حِجَابُهُ النّورُ لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهى إليهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢).

وأجمعَ أهلُ السّنّة على أنّ العينين اثنتان ويُؤيّدُهُ قولُ النّبيّ ﷺ في الدَّجّالِ: «.. إنّه أعورُ وإنّ ربّكم ليسَ بأعور...»(٣).

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٤) وتُؤمنُ بأنّ المؤمنين يَرَوْنَ ربَّهُمْ يومَ القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾(٥).

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى لا مِثْلَ لهُ لكمالِ صفاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٦).

وتُؤمنُ بأنّه سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٧) لكمال حياته وقيُّوميَّتِهِ ﷻ.

وتُؤمن بأنّه لا يظلمُ أحداً لكمالِ عَدْلِه، وبأنّه ليس بغافلٍ عن أعمالِ عبادِهِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾(٨).

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٢، كتاب الإيمان، حديث ٢٩٣، وابن ماجه في سننه ١/ ٧٠، المقدمة من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث متفقٌ عليه أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٧٥، كتاب الفتن، من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهما، وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٤٨، كتاب الفتن، حديث ١٠١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

وتُؤمنُ بأنّه لا يُعجزهُ شيءٌ في السّمٰوات ولا في الأرضِ لكمالِ علمِهِ وقُدْرَتِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

وبأنه لا يلحقُه تَعَبٌ ولا إعياءٌ لكمالِ قوّتِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2] أي: من تعب ولا إعياء.

وتُؤمن بثبُوت كلّ ما أثبتَهُ الله لنفسِهِ أو أثبتَهُ لهُ رسولهُ ﷺ من الأسماءِ والصّفاتِ لكنّنا نتبرأ من مَحْذُورَيْنِ عظيمين هُمَا: التّمثيل، أنْ تقولَ بقلبِها أو لسانها: صفات الله تعالى كصفات المخلوقين، فهذا القولُ باطلٌ مناقضٌ للإيمان بالله تعالى.

والتّكييف: أن تقولَ بقلبها أو لسانها: كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا. فهذا القولُ باطلٌ ومناقضٌ للإيمان بالله تعالى.

وتُؤمن بانتفاء كلّ ما نفَاهُ الله عن نفسِهِ أو نفَاهُ عنهُ رسولُه ﷺ وأنّ ذلك النّفي يتضمّنُ إثباتاً لكمالِ ضدِّهِ. وتسكتُ عمّا سكتَ اللهُ عنه ورسولهُ ﷺ.

وترَى أنّ السَّيْرَ على هذا الطّريق فرضٌ لا بدَّ منه، وذلك لأنّ ما أثبتَهُ الله لنفسِهِ أو نفاه عنها سبحانه، فهو خبرٌ أخبرَ الله به عن نفسِهِ وهو سبحانه أعلمُ بنفسِهِ، وأصدقُ قِيْلاً، وأحسنُ حديثاً والعباد لا يُحيطُونَ به عِلْماً.

وما أثبتَهُ لهُ رسولُهُ ﷺ أو نفَاهُ عنهُ فهو أخبر بهِ عنه، وهو أعلمُ النّاس بربِّهِ، وأنصحُ الخَلْقِ وأصدقُهُم وأنصَحُهُمْ. ففي كلامِ الله تعالى ورسولِه ﷺ كمالُ العلمِ والصّدْقِ والبيانِ، فلا عُذْرَ في ردِّهِ أو التّردّدِ في قبولِه.

وكلُّ ما ذكرنَاهُ مِنْ صفاتِ الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً إثباتاً أو نفياً، فإنّنا في ذلك على كتاب ربّنا وسُنّةِ نبيّنَا مُعْتَمِدُون، وعلى ما سار عليه سَلَفُ الأُمّةِ، وأئمّةُ الهُدَى من بعدِهم سائِرُون.

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٨.

البحث الرابع:

الإيمان بالقرآن والسنّة

وترَى وُجُوبَ إجراءِ نصوصِ الكتابِ والسُّنّةِ في ذلك على ظاهِرها، وحَمْلِها على حقيقتِهَا اللاّئقةِ بالله ﷻ ، وتتبرّأ من طريق المحرفين لها الّذينَ صَرَّفُوها إلى غيرِ ما أرادَ الله بها ورسولهُ، ومن طريق المعطّلين لها الذين عطّلُوها عن مَدلولِها الذي أرادَهُ الله ورسولهُ، ومن طريق المغالين فيها الذين حَمَلُوها على التّمثيل أو تكلّفُوا لمدلولها التكييف؛ فكلُّ ذلك باطلٌ منافٍ لعقيدةِ التوحيد.

وتَعْلَمُ علمَ اليقين أنّ ما جاءَ في كتابِ الله تعالى أو سُنّة نبيّهِ ﷺ فهو حقٌّ لا يُناقِضُ بعضُهُ بعضاً؛ لقولهِ تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]. ولأنّ التّناقضَ في الأخبارِ يستلزمُ تكذيبَ بعضها بعضاً، وهذا محالٌ في خبرِ الله تعالى ورسولهِ ﷺ.

ومَنِ ادّعى أنّ في كتاب الله تعالى أو في سُنّة رسولهِ ﷺ أو بينَهما تناقُضاً، فذلكَ لِسوءِ قَصْدِهِ وزَيْغِ قلبِه، فليَتُبْ إلى الله تعالى ولينزعْ عن غَيِّهِ.

ومَنْ توهَّم التّناقضَ في كتاب الله أو في سُنّة رسوله أو بينهما فذلك إمّا لقلّة علمِه أو قصورِ فهمِهِ أو تقصيره في التّدبير فليبحثْ عن العلمِ، وليجتهدْ في التّدبر حتى يتبيّن له الحقُّ فإنّه لم يتبيّنْ لهُ، وليقُلْ كما يقولُ الرّاسِخُونَ في العلمِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2] وليعلمْ أنّ الكتابَ والسُّنّة لا تناقُضَ فيهما ولا بينهما ولا اختلاف.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

البحث الخامس

الإيمان بالملائكة الكرام

وتُؤمن بملائكة الله تعالى وأنّهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(١).

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾(٢).

حجبهم الله عنّا فلا نراهم وربّما كشفَهم لبعضِ عبادِهِ، فقد رأى النّبيّ ﷺ جبريلَ على صورتِه، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفُقَ، وتمثّل جبريلُ لمريم بشَراً سوياً فخاطبتْهُ وخاطبَها، وأتى إلى النّبيّ ﷺ وعندَهُ الصّحابةُ وذلك بصورةِ رجلٍ لا يُعْرَفُ ولا يُرَى عليه أثَرُ السّفَرِ، شديدِ بياضِ الثّيابِ، شديدِ سَوَادِ الشّعرِ، فجلسَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فأسْنَدَ ركبتيه إلى ركبتي النَّبيّ ﷺ، ووضعَ كفيهِ على فخذيهِ وخاطبَ النَّبيَّ ﷺ، وخاطبَهُ النّبيُّ ﷺ وأخبرَ النّبيُّ ﷺ أصحابَهُ أنّهُ جبريلُ عليه السلام.

وتُؤمن بأنّ للملائكة أعمالاً كُلِّفُوا بها، فمنهم جبريلُ المُوكَلُ بالوحي، ينزلُ به من عندِ الله على مَنْ يشاء من أنبيائِهِ ورُسُلِهِ، ومنهم ميكائيلُ المُوكَلُ بالمطرِ والنّباتِ، ومنهم إسرافيلُ الموكَلُ بالنّفخ في الصّور حينَ الصَّعْقِ والنّشُورِ، ومنهم مَلَكُ الموتِ الموكلُ بقبضِ الأرواحِ عندَ الموت، ومنهم مَلَكُ الجبالِ الموكَلُ بها. ومنهم مَالِكٌ، خازنُ النّار، ومنهم ملائكةٌ مُوكَلُون بالأجنّة في الأرحام، وآخرون موكَلُون بحفظ بني آدَم، وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص مَلَكان: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٣). وآخرون موكَلُون بسؤالِ الميت بعدَ الانتهاءِ من تسليمه إلى مَثْواهُ، يأتيهِ مَلَكانِ يسألانِهِ عن ربِّهِ ودينهِ ونبيّهِ، فـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦-٢٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.
(٣) سورة قّ، الآيتان: ١٧-١٨.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

ومنهم الملائكةُ الموكَّلُون بأهلِ الجنّةِ:

﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(١).

وقد أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنّ البيتَ المعمورَ في السماء يدخُلُهُ - وفي رواية: يُصلّي فيه - كلَّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ثم لا يعودُونَ إليه آخرَ ما عليهم(٢).

وجوب الاهتمام بالقرآن العظيم حفظاً وفهماً وعملاً:

أختي المؤمنة:

يجبُ عليك أن يكون اهتمامُكِ بالقرآنِ العظيم كبيراً من حيثُ حفظه وفهمه والعمل بهِ؛ قالَ رسول الله ﷺ: «تَذَاكَرُوا القرآنَ، فوالّذي نفسِي بيدهِ لهوَ أشدُّ تفصّياً من صُدُورِ الرّجالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِها»(٣).

وقال ﷺ: «تَعَاهَدُوا القرآنَ فإنّه وحشيٌّ، فلهوَ أسْرَعُ تفصّياً من صُدُورِ الرّجالِ من الإبلِ من عُقُلِها»(٤).

وقال ﷺ: «لا يَفْقَهُ مَنْ قرأَ القرآنَ في أقلّ من ثلاثٍ»(٥). أي: لأنّه حينئذٍ لا يتأمّلُ معانيهِ ولا يُحْكِمُ مبانيه.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يمسُّ القرآنَ إلاّ طاهرٌ»(٦).

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) هذا الحديث جزء من حديث قصة المعراج رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٣٤، في كتاب: بدء الخلق، ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٠، في كتاب: الإيمان، حديث: ٢٦٤، كلاهما من حديث مالك بن صعصعة ﷺ مرفوعاً.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ٥٠٢٣، الفتح، وأحمد ١/ ٤٢٣.

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٥٥٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ١٦٩، وقال الألباني: صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود ٢/ ١٣٩٤، والترمذي ٥/ ٢٩٤٦، وابن ماجه ١/ ١٣٤٧، وقال الألباني: صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود في مراسيله ح٩٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٧٧٨٠، وقال: صحيح.

وقال ﷺ: «لا يَقُلْ أحدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كيتَ وكيتَ، بل هو نُسّي»[١].

وقال ﷺ: «ما آمَنَ بالقرآنِ من استحلَّ محارِمَهُ»[٢].

وقال ﷺ: «مَنْ يأخُذُ على تعليمِ القرآنِ قوساً قلّدَهُ الله قوساً مِنْ نارٍ»[٣].

وأخذ جماعةٌ بظاهر هذه الأحاديث، فحرَّمُوا الاستئجار لتعليم القرآن، وجوّزَهُ الأكثرون لقوله ﷺ: «إنّ أحقَّ ما أخذتُمْ عليه أجراً كتاب الله»[٤].

ويُحمل التّحريم على مَنِ اتخذَهُ صنعةً، فلا يُعلّم إلاّ بذلك، ويُحمل الثاني على أخذ العطيّةَ من غير شرطٍ على تعليمِ القرآنِ الكريمِ، والله تعالى أعلم.

البحث السادس

الإيمان بكتب الله تعالى

وتُؤمن بأنّ الله تعالى أنزل على رُسُلِهِ كُتُباً حُجّةً على العَالَمِين، ومَحِجّةً للعاملِين يعلّمونهم بها الحكمة ويُزكّونَهُمْ.

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى أنزلَ مع كلِّ رسولٍ كتاباً؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٥].

وتعلمُ من هذه الكتبِ:

١ - التوراةَ الّتي أنزلَها الله تعالى على موسى عليه السلام، وهي أعظم كُتُبِ بني إسرائيل: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٤٤. لأنّ النّسيان هو التّرك والإهمال.
(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٩١٨، وقال الألباني: صحيح، وأخرجه أحمد ٢/ ٧، وابن ماجه ٢/ ٢٨٧٩.
(٣) قال الألباني: صحيح، الصحيحة ٢٥٦.
(٤) صحيح البخاري ١٠/ ٥٧٣٧ «الفتح»، من حديث ابن عباس.
(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾(١).

٢ - الإنجيل الذي أنزلَهُ الله تعالى على عيسى عليه السلام، وهو مُصَدِّقٌ للتوراةِ ومُتمِّمٌ لها: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢) ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٣).

٣ - الزَّبُورُ الّذي آتاهُ الله تعالى دَاوُدَ عليه السلام.

٤ - صُحُفُ إبراهيمَ وموسَى عليهما الصّلاةُ والسّلام.

٥ - القرآنُ العظيمُ الّذي أنزَلَهُ الله على نبيِّهِ محمّدٍ خاتمِ النّبيين: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٤)، فكان: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٥). فنسخَ الله بهِ جميعَ الكُتبِ السّابقة، وتكفَّلَ بحفظهِ عن عَبَثِ العَابِثِين وزيغِ المحرِّفين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٦) لأنّه سَيبقَى حُجّةً على الخَلْقِ أجمعين إلى يومِ القيامة.

أمّا الكُتُبُ السّابقة فإنّها مؤقّتةٌ بأمَدٍ تنتهي بنزولِ ما ينسخها، ويُبيّن ما حصلَ فيها من تحريفٍ وتغييرٍ، ولهذا لم تكنْ معصومة منه، فقدْ وقعَ فيها التّحريفُ والزّيادةُ والنّقْصُ، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(٧) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٨).

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾(٩) ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٩) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾(١) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾(٢) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(٣).

البحث السابع:

الإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى بعثَ إلى خلقِهِ رُسُلاً: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٤).

وتُؤمن بأنّ أوّلَهُم نوحٌ وآخرَهُم محمّدٌ صلى الله عليهم أجميعن: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾(٥)، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٦).

وأنّ أفضلَهُمْ محمّدٌ ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوحٌ وعيسى ابن مريم، وهم المخصُوصُون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٧).

وتعتقدُ أنّ شريعةَ محمّدٍ ﷺ حاويةٌ لفضائلِ شرائعِ هؤلاءِ الرُّسُلِ المخصوصين بالفضل؛ لقولهِ تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٨).

وتُؤمن بأنّ جميعَ الرُّسلِ بشرٌ مخلُوقُون ليس لهم من خصائص الرّبُوبيّة شيءٌ، قالَ اللهُ تعالى عن نوحٍ وهو أوّلهم: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٨-٧٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٨) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(١) ، وأمرَ الله تعالى محمّداً وهو آخرُهُم أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾(٢).

وأنْ يقولَ: ﴿لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٣) ، وأنْ يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾(٤).

وتُؤمن بأنّهم عبيدٌ من عبادِ الله أكرمَهُمُ الله تعالى بالرّسالةِ ووصفَهُمْ بالعبُوديَّةِ في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثّناءِ عليهم، فقال في أوّلهِمْ نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(٥) ، وقال في آخرِهِمْ محمّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٦) ، وقال في رُسُل آخرين:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٧) ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٨) ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٩) وقال في عيسى ابن مريم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(١٠).

وتُؤمنُ بأنّ الله تعالى خَتَمَ الرّسالاتِ برسالةِ محمّدٍ ﷺ وأرسلَهُ إلى جميع النّاسِ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١١).

وتُؤمنُ بأنّ شريعتَهُ ﷺ هي دينُ الإسلام الّذي ارْتَضاهُ الله تعالى لعبادِهِ، وأنّ الله تعالى لا يقبلُ من أحدٍ ديناً سِوَاهُ لقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١٢) ، وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) سورة هود، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢١-٢٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٧) سورة صٓ، الآية: ٤٥.
(٨) سورة صٓ، الآية: ١٧.
(٩) سورة صٓ، الآية: ٣٠.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(١٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١] ، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢].

وترَى أنّ مَنْ زعمَ اليومَ ديناً قائماً مقبولاً عندَ الله سِوَى دينِ الإسلامِ من دينِ اليهوديةِ أو النّصرانيةِ أو غيرهما فهو كافرٌ يُسْتَتَابُ، فإنْ تابَ وإلاّ قُتِلَ مرتَدّاً؛ لأنّه مكذّبٌ للقرآن الكريم، بأنّه ليس في الأرض دينٌ من عند الله تعالى إلاّ الإسلام.

وترَى أنّ من كفَرَ برسالةِ محمّدٍ ﷺ إلى النّاس جميعاً فقدْ كفرَ بجميعِ الرُّسُلِ حتّى برسولهِ الّذي يزعمُ أنّه مؤمنٌ بهِ متّبعٌ له؛ لقولهِ تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٣] فجعلهم مكذّبين لجميع الرّسل، مع أنّه لم يسبقْ نوحاً رسولٌ. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[٤].

وتُؤمن بأنّه لا نبيَّ بعدَ محمّدٍ رسول الله ﷺ، ومَنِ ادّعى النّبوّةَ بعدَهُ أو صدَّقَ مَنِ ادّعاها فهو كافرٌ لأنّه مُكذّبٌ لله ورسولهِ وإجماعِ المسلمين.

وتُؤمنُ بأنّ للنّبيّ ﷺ خلفاءَ راشدين خلّفُوهُ في أمّتِهِ عِلْماً ودعوةً وولايةً على المؤمنين، وبأنّ أفضلَهُم وأحقَّهُم بالخلافةِ أبو بكرٍ الصّدّيق، ثم عمرُ بنُ الخطابِ، ثم عثمانُ بنُ عفانَ، ثم عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا كانوا في الخلافة قدراً كما كانوا في الفضيلة، وما كان الله تعالى - وله الحكمةُ البالغةُ - ليولّي على خيرِ القُرونِ رجلاً وفيهم مَنْ هو خيرٌ منه وأجدَرُ بالخلافةِ.

وتُؤمنُ بأنّ المفضول من هؤلاء قد يتميّز بخصيصة يفُوق فيها مَنْ هو أفضلُ منه لكنّه لا يستحقُّ بها الفَضْلَ المطلقَ على من فضلَهُ؛ لأنّ موجباتِ الفضل كثيرةٌ متنوّعة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠-١٥١.

وتؤمن بأنّ هذه الأمّة عامّةً، وأوّلها من السّلف الصّالح خيرُ الأُمم وأكرمُها على الله ﷻ، لقولهِ تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١).

وتُؤمن بأنّ خيرَ هذهِ الأُمّة الصّحابةُ ثم التّابعُون ثم تابعُوهُمْ. وبأنَّهُ لا تَزَالُ طائفةٌ من هذه الأمةِ على الحقِّ ظاهرين لا يضرُّهُمْ مَنْ خذلَهُم أو خالفَهُم حتّى يأتي أمرُ الله ﷻ.

وتعتقدُ أنَّ ما جرى بينَ الصّحابةِ ﷺ من الفتنِ فقد صدَر عن تأويلٍ اجتهَدُوا فيه، فمَنْ كان منهم مُصيباً كان لهُ أجرانِ، ومَنْ كان منهم مخطئاً فلهُ أجْرٌ واحدٌ، وخطؤُهُ مغفورٌ له، وهذا فضل الله تعالى لصدر هذه الأمّة.

وترَى أنّه يجب أنْ نكُفَّ عن مساوئهم فلا نذكُرُهم إلاّ بما يستحقّونَهُ مِنَ الثّناء الجميلِ، وأنْ نُطهّرَ قلوبَنَا من الغِلِّ والحِقْد على أحدٍ منهم؛ لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢)، وقول الله تعالى فينا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

البحث الثامن:

الإيمان باليوم الآخر

وتُؤمنُ باليومِ الآخرِ وهو يومُ القيامةِ الّذي لا يومَ بعدَهُ حينَ يُبْعَثُ النّاسُ أحياءً للبقاءِ إما في دارِ النّعيمِ، وإمّا في دارِ العذابِ الأليمِ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٠.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

فتُؤمنُ بالبعثِ، وهو إحياءُ الله تعالى الموتَى حينَ ينفخُ إسرافيلُ في الصّورِ النّفخةَ الثّانية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١).

فيقوم الناسُ من قُبورِهم لربِّ العَالَمين حُفَاةً بلا نعالٍ، عُراةً بلا ثيابٍ، غُرْلاً بلا ختانٍ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾(٢).

وتُؤمنُ بصحائفِ الأعمالِ تُعْطَى باليمينِ، أو من وَرَاءِ الظّهور بالشّمال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾(٣) ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾(٤).

وتُؤمنُ بالمَوازينِ تُوضَعُ يومَ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾(٥) ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾(٦) ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٧).

وتُؤمنُ بالشّفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصّةً يشفعُ عندَ الله تعالى بإذنِهِ ليقضيَ بينَ عبادِه حينَ يصيبُهم من الهَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقُون؛ فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ.

وتُؤمنُ بالشّفاعة فيمَنْ دخلَ النّار من المؤمنين أن يخرجُوا منها، وهي للنّبيّ ﷺ وغيرِهِ من النّبيين، والمؤمنين، والملائكة.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة الانشقاق، الآيات: ٧-١٢.
(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣-١٤.
(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.
(٦) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٢-١٠٤.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

وبأنّ الله تعالى يُخرج من النّارِ أقواماً من المؤمنين بغير شفاعةٍ بل بفضلهِ ورحمتهِ تبارك وتعالى.

وتُؤمنُ بحوضِ رسول الله ﷺ، ماؤُهُ أشدُّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسلِ، وأطيبُ من رائحةِ المسك، طولهُ شهرٌ وعرضهُ شهرٌ، وآنيتُه كنجومِ السّماء حُسْناً وكثرةً، يَرِدُهُ المؤمنُون من أمّتهِ، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأ بعدَ ذلك.

وتُؤمن بالصّراطِ المنصُوب على جهنّم يمرُّ النّاسُ عليه على قَدْرِ أعمالِهم فيمرُّ أوّلهم كالبرقِ ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطّير، وشدِّ الرِّحَال، والنّبيُّ ﷺ قائمٌ على الصّراط يقولُ: «يا ربِّ سَلّمْ سَلّمْ». حتى تعجز أعمال العباد فيأتي من يزحفُ، وفي حافتي الصّراط كلاليبٌ معلّقة مأمورةٌ تأخُذُ من أُمِرَتْ بهِ، فمخدُوشٌ ناجٍ ومكردسٌ في النّار.

وتُؤمنُ بكلِّ ما جاءَ في الكتابِ والسّنّة من أخبارِ ذلكَ اليومِ وأهوالهِ أعاذَنَا الله عليها.

وتُؤمنُ بشفاعةِ النّبيّ ﷺ لأهلِ الجنّةِ أن يدخلُوها وهي للنّبيّ ﷺ خاصّةً.

وتُؤمِنُ بالجنّةِ والنّار؛ فالجنّةُ دارُ النّعيم التي أعدَّها اللهُ تعالى للمؤمنين المتّقين، فيها من النّعيم ما لا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] والنّارُ دارُ العذابِ الّتي أعدّها الله تعالى للكافرين الظّالمين، فيها من العذابِ والنّكالِ ما لا يخطرُ على البالِ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[2].

وهما موجودتَانِ الآنَ، ولنْ تفنَيا أبدَ الآبدين: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١١.

تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾[١] وتشهد بالجنّةِ لكلِّ مَنْ شَهِدَ لهُ الكتابُ والسُّنّةُ بالعينِ أو بالوَصْفِ.

فَمِنَ الشّهادة بالعين الشّهادة لأبي بكر وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ونحوِهم ممّن عيّنهم النّبيُّ ﷺ[٢]. ومن الشّهادة بالوَصْفِ الشّهادةُ لكلِّ مؤمنٍ أو تقي.

وتشهدُ بالنّار لكلِّ مَنْ شهدَ له الكتابُ والسّنّة بالعين أو بالوصف، فمِنَ الشّهادة بالعين الشهادة لأبي لهب وعمرو بن لحي الخزاعي ونحوهما[٣]، ومن الشّهادة بالوصفِ الشّهادة لكلِّ كافرٍ أو مشركٍ شركاً أكبر، أو منافق.

وتُؤمن بفتنة القبر، وهي سؤال الميت في قبرِه عن ربِّهِ ودينِهِ ونبيِّهِ ف﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٤]. فيقول المؤمن: ربّي الله وديني الإسلامُ ونبيّي محمّد ﷺ. وأمّا الكافرُ والمنافقُ فيقولُ: لا أدْري، سمعتُ النّاسَ يقولُونَ شيئاً فقُلْتُهُ.

وتُؤمِنُ بنعيم القبرِ للمؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥].

وتُؤمنُ بعذابِ القبرِ للظالمين الكافرين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٦].

والأحاديث في هذا كثيرة ومعلومة، فعلى المؤمن أن يُؤمن بكل ما جاءَ به

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤-٦٦.

(٢) أي في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه ٥/ ١٠ في فضائل أصحاب النّبيّ ﷺ في صحيحه ٤/ ١٨٦٧، في الفضائل أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) انظري صحيح البخاري ٦/ ٦٩، كتاب التفسير، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٩١، وجاء فيه: «رأيتُ عمرو بن لحيّ.. يجرّ قُصْبَهُ في النّار».

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

الكتَابُ والسُّنَّةُ من هذه الأمورِ الغيبيّةِ وأنْ لا تُعارِضَها بما تُشاهدُ في الدنيا؛ فإنّ أمورَ الآخرةِ لا تُقَاسُ بأمورِ الدّنيا لظهورِ الفَرْقِ الكبيرِ بينهما. والله المُسْتَعان.

وفيما يلي تفصيل لذكر يوم القيامة من الحشر والنّشر والصّراط، وذكر الحساب والثواب، وذكر الحوض والميزان، وذكر الشفاعة الخاصّة والعامّة، وذكر النار وعذاب أهلها، وذكر الجنّة ونعيم أهلها، جعلنا الله من أهل الجنّة ووفّقنا للعمل لها، وأجارنا الله من النار، ومن العمل لها. آمين آمين آمين، يا ربَّ العالمين.

البحث التاسع:

ذكر يوم القيامة من الحشر والنّشر والصّراط

قالَ رسول الله ﷺ: «إنّكُم مُلاَقُو الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً»(١).

وفي روايةٍ قالت عائشةُ ﷺ فقلتُ: الرِّجالُ والنّساءُ جميعاً ينظر بعضُهُمْ إلى بعضٍ؟ قال: «الأمرُ أشدُّ من أنْ يَهمَّهُم ذلك»(٢). وعن أُمِّ سلمةَ ﷺ: فقلتُ: وَاسَوْأَتَاهُ! أينظرُ بعضُنَا إلى بعض؟ فقالَ ﷺ: «شُغل النّاس» قلت: وما يُشْغِلُهُمْ؟ قال: «نَشْرُ الصّحائِف فيها مثاقيلَ الذّرِّ ومثاقيلَ الخَرْدَلِ»(٣).

وعن سودةَ بنتِ زُمْعَةَ ﷺ فقالتْ: يُبْصِرُ بعضُنَا بعضاً؟ قالَ: «شُغل النَّاس» ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٤) (٥).

---

(١) صحيح البخاري ١١/ ٦٥٢٥ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٩٤ من حديث ابن عباس.
(٢) صحيح البخاري ١١/ ٦٥٢٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٩٤.
(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٣٣، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن موسى بن أبي عياش، وهو ثقة.
(٤) سورة عبس، الآية: ٣٧.
(٥) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٣٣، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصّحيح غير محمد بن عياش، وهو ثقة.

وقال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيامةِ» قال: «يقومُ أحدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ»(١).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ الفُقَراءَ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ قَبْلَ الأغنياءِ بخمسمائةِ عامٍ»(٢).

البحث العاشر:

ذكر الحساب والثّواب والعقاب

قالَ رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ حتّى يُسْأَلَ عن أربعٍ: عن عُمرِهِ فيما أفْنَاهُ، وعن علْمِهِ ما عملَ به، وعن مالِهِ من أينَ اكتسَبَهُ وفيما أنفقَهُ؟ وعن جسمِهِ فيما أبْلاَهُ»(٣). وفي رواية: «وعن شَبَابِهِ فيما أبْلاَهُ»(٤).

وقالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»(٥).

وقالَ رسول الله ﷺ: «لو أنّ رجلاً خرَّ على وجهِهِ من يومِ وُلِدَ إلى يومِ يموتُ هَرَماً في طاعةِ الله ﷻ لحقَّرهُ ذلك اليومُ، ويَوَدُّ أنّه لو رُدَّ إلى الدّنيا كيما يزداد من الأجرِ والثّوابِ»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وقَارِبُوا وأبْشِرُوا فإنّه لنْ يُدْخِلَ أحداً الجنّةَ

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٥ من حديث ابن عمر.
(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٢٣٥١، من حديث أبي سعيدٍ الخدري، وقال الألباني: صحيح.
(٣) أخرجه الترمذي ٤، ح٢٤١٧، من حديث أبي بريدة الأسلمي، وذكره الألباني في السلسلة الصّحيحة ح ٩٤٦، وقال: صحيح.
(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٤٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.
(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٠٥، وأحمد ٦/ ٢٠٦ من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٦) أخرجه أحمد ٤/ ١٨٥، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٢٥ من حديث محمد بن أبي عميرة، وقال: رواه أحمد موقوفاً ورجاله رجال الصّحيح.

عملُهُ»، قالُوا: ولا أنْتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنَا إلاّ أنْ يتغمَّدَنِيَ اللهُ برحمتِهِ!»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «... إذا كان يومُ القيامةِ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبع كلُّ أمّةٍ ما كانتْ تعبدُ، فلا يبْقى أحدٌ كانَ يعبدُ غيرَ الله من الأصنامِ والأنْصَابِ إلاّ يتساقطون في النّار، حتى إذا لم يَبْقَ إلاّ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ وفَاجِرٍ، وغُبَّرَ أهلِ الكتاب - أي بمعجمة مضمومة فموحدة مشددة مفتوحة: جمع غابر وهو الباقي - فيُدْعَى اليهودُ فيُقال لهم: ما كُنْتُمْ تعبُدون؟ قالوا: كنّا نعبدُ عُزير ابن الله، فيُقال: كذبتم ما اتَّخَذَ الله من صاحبةٍ ولا ولدٍ، فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربَّنا فاسْقِنَا، فيُشَارُ إليهِمْ: ألاَ تَرِدُون؟ فيُحشرون إلى النّار كأنّها سرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضاً، فيتساقَطُون في النّارِ، ثم يُدْعَى النّصَارَى فيُقَالُ لهُمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدون؟ قالوا: كنّا نعبدُ المسيحَ ابْنَ الله، فيُقالُ لَهُم: كَذَبْتُمْ ما اتّخذَ اللهُ من صاحبةٍ ولا وَلَدٍ، فيقال لهم: ماذا تَبْغُون؟ فيقولُون: عطِشْنَا يا ربَّنَا فاسْقِنَا، فيُشَارُ إليهم: ألاَ تَرِدُون؟ فيُحشرون إلى جهنّم كأنّها سرابٌ يحطِمُ بعضُها بعضاً، فيتسَاقَطُون في النّارِ، حتى إذا لم يبقَ إلاَّ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الله من بِرٍّ وفاجرٍ أتَاهُمُ الله في أدْنى صورةٍ من التي رأوهُ فيها، قال: فما تنتظِرُون؟ لتتَّبعَ كلُّ أمّةٍ ما كانَتْ تعبُدُ، قالوا: يا ربَّنا فارَقْنَا النّاسَ في الدّنيا أفقرَ ما كُنّا إليهم، ولم نُصَاحِبْهُمْ، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذُ بالله منكَ، لا نشركُ بالله شيئاً - مرّتين أو ثلاثاً - حتّى إنّ بعضَهُمْ ليكادُ أن ينقلب، فيُقال: هلْ بينكُمْ وبَيْنَهُ آيَةٌ فتعْرِفُونَهُ بها؟ فيقُولُونَ: نَعَمْ! فيكشَفُ عن سَاقٍ فلا يَبْقَى من كان يسجد للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نفسِهِ إلاّ أذِنَ الله لهُ بالسجودِ، ولا يَبْقَى مَنْ كانَ يسجدُ اتّقاءً ورياءً، إلاّ جعلَ الله ظَهْرَهُ طبقةً واحدةً كلّما أرادَ أنْ يسجُدَ خرّ على قفاه، ثم يرْفَعُون رؤوسَهُمْ وقد تحوّلَ في صورته الّتي رأوه فيها أوّلَ مرّةٍ، فقال: أنا ربُّكم فيقولُون: أنتَ ربُّنَا، ثم يُضْرَبُ الجِسْر على جهنَّم وتحلُّ الشّفاعةُ، ويقولُونَ: اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» قيل: يا رسولَ الله وما الجِسْرُ؟ قال: «دَحْضٌ - بسكون الحاء: زلق - مزلة - أي: لا

(١) صحيح البخاري.

يثبتُ عليه قَدَمٌ إلاّ زَلَّ - فيه خطاطيفُ وكلاليبُ ، وحسكة تكون بنجدٍ فيها شويكة، يُقال لها السّعدان - أي: وهو نبت ذو شوك معقّف - فيمرُّ المؤمنُون كطَرْفِ العينِ وكالبَرْقِ، وكالرّيحِ، وكالطّيرِ، وكأجاويد الخيل والرّكاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوسٌ - مَدْفُوعٌ دفعاً عنيفاً - في نارِ جهنّم، حتّى إذا خَلَصَ المؤمنُونَ مِنَ النّارِ فَوَالّذي نَفْسِي بيدِهِ ما مِنْ أحدٍ منكُمْ بأشدَّ مُنَاشَدَةً للهِ تعالى في استيفاء الحقِّ، من المؤمنين لله تعالى يومَ القيامة لإخْوَانِهِمُ الّذينَ في النّار»[1].

وعن أنس قال: كنّا عندَ النَّبيِّ ﷺ فضَحِكَ، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمّ اضْحَكُ؟» قُلْنَا: الله ورسولُهُ أعْلَمُ؟ قالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ ربَّهُ، فيقولُ: يا ربِّ ألَمْ تجرني مِنَ الظّلْم؟ فيقولُ: بلى، فيقولُ: إنّي لا أجيزُ اليومَ على نَفْسِي شاهِداً إلاّ منّي، فيقولُ: كفَى بنَفْسِكَ اليومَ عليكَ حسيباً، وبالكِرَامِ الكاتبين شُهُوداً، فيُختَمُ على ما فيهِ، ويُقال لأركانه: انطقي، فتنطِقُ بأعمالِهِ، ثم يُخلَّى بينَهُ وبينَ الكلامِ فيقولُ: بُعْداً لكنّ وسُحْقاً فعنكُنّ كنتُ أُناضِلُ»[2]؛ أي: أُخَاصِم وأُدَافِع.

قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[3] قال: «أتَدْرُونَ ما أخبارُها؟» قالُوا: الله ورسولُه أعْلَمُ، قال: «فإنّ أخبارَها أن تشْهَدَ على كلّ عَبْدٍ وأمةٍ بما عَمِلَ على ظهرِهَا، تقولُ: عمل كذا وكذا في يومِ كذا وكذا»[4].

---

(١) صحيح البخاري ٢، ح ٨٠٦ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ١٦٣-١٦٦، من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٨٠-٢٢٨١، وابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

(٤) أخرجه ابن حبان ٩، ح٧٣١٦، من حديث أبي هريرة.

البحث الحادي عشر:

ذكر الحوض والميزان

قالَ رسول الله ﷺ: «حَوْضِي مسيرةُ شهرٍ وزَوَايَاهُ سَواءٌ، وماؤُهُ أبيضُ مِنَ الوَرِقِ»(١). الوَرِقُ: هي الفضّة.

وفي رواية: «وريحه أطيبُ من المِسْكِ، وكيزانُهُ كنجومِ السّماء، مَنْ شَرِبَ منهُ لا يظمأ أبداً»(٢).

وقالَ رسول الله ﷺ: «حَوْضِي كما بينَ عَدْنَ وعُمَانَ أبْرَدُ من الثلج وأحْلَى من العَسَل وأطيبُ ريحاً من المسك أكْوَابُهُ مثل نجومِ السّماء، مَنْ شَرِبَ منهُ شَرْبَةً لم يظمأ بعدَها أبداً، أوّلُ النّاس عليه وُرُوداً صعاليك المُهاجرين» قال قائلٌ: - مَنْ هُمْ يا رسولَ الله؟ قال: الشّعْثَةُ رُؤُوسَهُمْ - أي: بعيدة عهد بدهن وغُسْل وتسريح شعر - الشّحِبَةُ وُجُوهُهُم - أي: الوَسِخَةُ - لا تُفْتَح لهُمِ السُّدَدُ - أي: الأبواب - ولا ينكحون المُنَعّمات، الذين يُعطون كلَّ الذي عليهِمْ ولا يُعْطَونَ كلَّ الذي لهُمْ»(٣).

وعن أمّ مبشر الأنصارية رضي الله عنها أنّها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقولُ عندَ حفصةَ رضي الله عنها: «لا يدخل النّار إنْ شاء الله تعالى من أصحاب الشّجرة أحد الّذين بايعوا تحتها» قالتْ: بلى يا رسولَ الله، فانتهرها، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(٤).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٣، من حديث عمرو بن العاص.

(٢) صحيح البخاري ١١، ح٦٥٧٩ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٩٣، من حديث ابن عمرو.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٣٢، وذكره المنذري في الترغيب ٤/ ٤٢٠، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٠٨٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٧١.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «قد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1]»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النّارَ ثم يَصْدُرُونَ عنها بأعمالِهِم، أوّلُهُم كلمحِ البَرْقِ ثم كلمحِ الرّيحِ، ثم كحضرِ الفرس، ثم كالرّاكبِ في رحله، ثم كشدِّ الرَّجُلِ، ثمّ كمشيِهِ»[3].

البحث الثاني عشر:

ذكر الشفاعة الخاصة والعامة التي رزقنا الله تعالى إيّاها

قالَ رسول الله ﷺ: «كلُّ نبيٍّ سألَ سؤالاً» أو قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ قد دَعَاهَا لأُمّتِهِ وإنّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمّتي يومَ القيامةِ»[4].

وقالَ رسول الله ﷺ: «رأيتُ ما تَلْقَى أُمّتي من بعدِي وسفْكَ بعضهم دَمَ بعضٍ فأحْزَنَنِي وسبقَ ذلك مِنَ الله ﷻ كما سبقَ في الأُممِ قَبْلَهُمْ فسألتُهُ أن يُولّيني فيهِمْ شفاعة يوم القيامة ففعل»[5].

وقالَ رسول الله ﷺ: «لقدْ أعطيتُ اللّيلةَ خَمْساً ما أعطيهنّ أحدٌ قَبْلِي - إلى

(١) سورة مريم، الآية: ٧٢.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٤٢، وأحمد ٦/ ٤٢٠.
(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٧٥، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، من حديث ابن مسعود، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٨٠٨١، وقال: صحيح، الصّحيحة ٣١١.
(٤) صحيح البخاري ١١، ح ٦٣٠٥ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ١٩٠، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٥) أخرجه أحمد ٦/ ٤٢٨، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٢٤، وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح.

أنْ قال -: والخامسة هي ما قيل لي سَلْ فإنّ كلّ نبيّ قد سألَ؛ فاخّرتُ مسألتي إلى يومِ القيامةِ، فهي لكم ولمَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ الله»[1].

وأخرج البزارُ والطبراني بسند حسن قيل: يا رسولَ الله ألاَ سألتَ ربَّك مُلْكاً كَمُلْكِ سليمان؟ فضحِكَ ثم قال: «فلعلّ لصاحبكُمْ عِنْدَ اللهِ أفضلَ من مُلْكِ سليمان، إنّ الله تعالى لم يَبْعَثْ نبيّاً قطُّ إلاّ أعْطَاهُ، منهم مَنِ اتخذَهَا دُنْياً فأعْطِيهَا، ومنهُمْ مَنْ دَعَا بها على قومِهِ إذْ عَصَوْهُ فأُهْلِكُوا بها، وإنّ الله أعطَانِي دعوةً فاختبأتُها عندَ ربّي شفاعةً لأمّتي يومَ القيامة»[2].

والأحاديث في هذا كثيرة من الصّحاح وغيرها والطبراني بأسانيد أحدها جيّد: «ألاَ أُخْبِرَكُم بما خيّرني ربّي آنفاً؟» قُلْنَا: بلى يا رسولَ الله! قال: «خيّرني بينَ أنْ يُدْخِلَ ثُلُثَي أمّتي الجنّةَ بغيرِ حساب ولا عذابَ، وبينَ الشّفاعةِ» قُلْنَا: يا رسولَ الله ما الّذي اخترتَ؟ قال: «الشّفَاعَة» قلنا جميعاً: يا رسولَ الله اجْعَلْنَا من أهلِ شفاعَتِكَ، قال ﷺ: «إنّ شفاعتي لكلّ مسلمٍ»[3].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: تُعْطَى الشّمسُ يومَ القيامةِ حرَّ عشرِ سنين، ثم تُدْنَى من جماجم النّاسِ، قال: فذكرَ الحديثَ، قالَ: فيأتُونَ النّبيَّ ﷺ فيقولون: يا نبيَّ الله أنتَ الذي فتحَ الله وغفرَ لك ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخّرَ، وقَدْ ترَى ما نحنُ فيه فاشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ فيقولُ: «أنا صاحبكُمْ» فيخرج يجوسُ بينَ النّاس حتى ينتهي إلى باب الجنّة فيأخذُ بحلقةِ بالبابِ من ذهبٍ فيقرعُ البابَ فيُقال: من هذا؟ فيقولُ: «محمّدٌ»، فيُفْتَحُ له حتى يقومَ بينَ يدي الله عزّ وجلّ فيسجد، فيُنادى: ارفعْ

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٢٢، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٦٧، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧١، وقال: رواه الطبراني والبزار ورجالهما ثقات، من حديث عبد الرحمن ابن أبي عقيل.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٦٩، وقال: روى الترمذي وابن ماجه طرفاً منه، ورواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضهم ثقات، من حديث عوف بن مالك.

رأسَكَ وسَلْ تُعطَهْ واشْفَعْ تشفع، فذلك المقام المحمود[١].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّي لقائمٌ أنتظرُ أمّتي تَعْبُرُ الصّراطَ إذْ جاءَ عيسى عليه السلام فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألُونَ - أو قال: - يجتمعُون إليك يَدْعُونَ الله تعالى أن يُفرّقَ بين جميع الأمم إلى حيث يشاءُ لعظم ما هم فيه فإنّهم مُلْجَمُون بالعَرَقِ، فأمّا المؤمنُ فهو عليه كالزّكْمَةِ، وأمّا الكافر فيغشاهُ الموتُ - قال: - «يا عيسَى انتظرْ حتّى أرجعَ إليكَ» قال: وذهبَ نبيُّ الله ﷺ فقامَ تحتَ العرشِ فلقيَ ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفى ولا نبيٌّ مُرْسلٌ، فأوْحَى الله تعالى إلى جبريلَ عليه السلام أنِ اذْهَبْ إلى محمّدٍ فقُلْ له: ارفعْ رأسَكَ سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ، قال: «فشفعتُ في أمّتي أن أُخرجَ من تسعةٍ وتسعين إنساناً واحداً» قال: «فما زلتُ أتردَّدُ على ربّي جلَّ وعلا فلا أقومُ فيه مقاماً إلاّ شُفِّعْتُ حتّى أعطاني الله من ذلك أنْ قالَ: أدْخِلْ مِنْ أُمّتِكَ من خَلْقِ اللهِ تعالى من شهدَ أن لا إلهَ إلاّ الله يوماً واحداً مخلصاً وماتَ على ذلك»[٢].

وقالَ رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ من أهلِ هذه القبلةِ النّارَ من لا يُحْصي عددَهُم إلاّ اللهُ تعالى بما عَصَوْا الله تعالى واجترأوا على معصيتِه وخالفُوا طاعتَهُ فيُؤْذَنُ لي في الشّفاعة فأُثني على الله ساجداً، كما أُثني عليه قائماً، فيُقال لي: ارْفَعْ رأسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفّعْ»[٣].

وقالَ رسول الله ﷺ: «يجمعُ الله تبَارَكَ وتعالى النّاسَ فيقومُ المؤمنُون حتّى تُزلَّفَ لهُمُ الجنّةُ فيأتونَ آدَمَ فيقولُونَ: يا أبَانَا اسْتَفْتِحْ لنَا الجنّةَ، فيقولُ: وهل أخْرَجَكُمْ من الجنّةِ إلاّ خطيئةُ أبيكُمْ، لستُ بصاحبِ ذلك، اذْهَبُوا إلى ابني

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧١، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، من حديث سلمان.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٧٨، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧٣، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح، من حديث أنس بن مالك.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحبِ ذلك، إنّما كنتُ خليلاً من وراء وراء، اعمدُوا إلى موسى الّذي كلّمه اللهُ تكليماً، قال: فيأتُونَ موسى فيقولُ: لستُ بصاحب ذلك اذْهَبُوا إلى عيسى، كلمةُ الله وروحُهُ، فيقولُ عيسى: لست بصاحبِ ذلك، ائتُوا محمّداً فيَأْتُونَ محمّداً ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وتُرْسَلُ الأمانةُ والرحمُ فيقومَانِ جنبتي الصّراطِ يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرقِ الخاطف» قال: قلتُ: بأبي أنتَ وأمّي أيُّ شيءٍ كالبرقِ؟ قال: «ألم تَروا إلى البَرْقِ كيفَ يمرُّ ويرجعُ في طرفةِ عينٍ؟! ثم كمرِّ الرّيحِ، ثم كمرِّ الطّيرِ وشدِّ الرّجالِ تجري بهم أعمالُهم ونبيُّكم قائمٌ على الصّراطِ يقولُ: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ حتى يجيءَ الرّجلُ فلا يستطيعُ السّيرَ إلاّ زَحْفاً، وفي حافتي الصّراطِ كلاليب معلّقة مأمورٌ تأخذُ من أُمِرَتْ بِه، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكْدُوشٌ في النّارِ، والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ إنّ قَعْرَ جهنّمَ لسبعين خَرِيفاً»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كنّا مع النّبيّ ﷺ في دعوةٍ فرُفِعَ إليه الذّراعُ وكانتْ تُعجبُهُ، فنهش منها نهشةً وقال: «أنَا سَيّدُ النّاسِ يومَ القيامةِ، هل تَدْرُون ممَّ ذاكَ؟ يجمعُ الله الأوّلين والآخِرين في صعيدٍ واحدٍ فيُبْصِرُهم النّاظرُ ويسمعُهُمُ الدّاعي، وتدنُو منهم الشّمسُ، فيبلغُ النّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقُون ولا يحتملون، فيقولُ النّاس: ألاَ تَرَوْنَ إلى ما أنْتُم فيه - أي: إلى ما بلغكم؟ - ألا تنتظرون مَنْ يشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ النّاس لبعضٍ: ائتُوا آدَمَ، فيأتُونَهُ فيقولُون: يا آدَمُ أنتَ أبو البَشَرِ خلقَكَ الله بيدِهِ ونفَخَ فيكَ مِنْ رُوحِهِ وأمرَ الملائكةَ فسجدُوا لكَ وأسْكَنَكَ الجنّةَ ألاَ تشفعُ لنَا إلى ربِّك؟ ألا تَرى إلى ما نحنُ فيه وما بَلَغَنَا؟ أو قال: ألاَ ترَى إلى ما قدْ بلَغَنَا؟ فيقول: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ولَنْ يَغْضَبَ بعدَهُ مثلَهُ، وإنّه نَهَانِي عن الشّجرةِ فعصيتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذهبُوا إلى نُوحٍ فيأتُونَ نُوحاً، فيقولُون: يا نوحُ أنتَ أوّلُ الرّسُلِ إلى أهلِ الأرضِ، وقد سَمّاكَ الله عَبْداً شَكُوراً اشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ، ألاَ ترَى ما نحنُ فيه ألاَ ترَى ما بلغَنَا؟ فيقولُ لهُمْ نُوحٌ: إنّ

(١) صحيح مسلم ١/ ١٨٧، من حديث أبي هريرة.

ربّي غضِبَ اليومَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ ولنْ يغضبَ بعدَهُ مِثْلَهُ، وإنّه قد كانتْ لِي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيري اذهبُوا إلى إبراهيم، فيأتُونَ إبراهيمَ فيقولُون: يا إبْراهيمُ أنتَ نبيُّ الله وخليلُهُ من أهْلِ الأرضِ، اشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ، ألاَ ترَى ما نحنُ فيه؟ ألاَ ترى ما قد بلَغَنَا؟ فيقولُ: إنّ ربّي غضبَ اليومَ غَضَباً لم يغضَبْ قبلَهُ مِثْلَهُ ولنْ يغضبَ بعدَهُ مثلَهُ، وإنّي كنتُ كذبتُ ثلاثَ كذَبَاتٍ، فذكرَها، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهبُوا إلى غيري، اذْهبُوا إلى موسى، فيأتُون موسَى فيقولُون: أنتَ رسولُ الله وكليمُهُ، فضَّلَكَ برسالاته وبكلامه على النَّاسِ!!؟ اشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ، ألاَ ترَى إلى ما نحنُ فيه؟ ألاَ ترَى إلى ما قد بلغنا؟ فيقولُ: إنّ ربّي غضبَ اليومَ غضَباً لم يغضبْ قبلَهُ مِثْلَهُ، ولم يغضبَ بعدَهُ مثلَهُ، وإنّي قتلتُ نَفْساً لم أُؤمَرْ بقتلِها، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهبُوا إلى غيري، اذْهبوا إلى عيسى، فيأتُون إلى عيسى فيقولُون: يا عيسى أنتَ رسولُ الله، وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وكلمتَ النّاسَ في المهدِ، اشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ ألاَ ترى ما نحنُ فيه؟ ألاَ ترَى ما قد بلغَنَا؟ فيقول عيسى: إنّ ربّي قد غضبَ اليومَ غَضَباً لم يغضَبْ قبلَهُ مثلَهُ، ولن يَغْضَبَ بعدَهُ مثلَهُ - ولم يذكرْ ذنباً - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى محمّدٍ ﷺ، فيأتُون محمّداً ﷺ فيقولُون: يا محمّدُ أنتَ رسولُ الله وخاتَمُ النّبيينَ، وقدْ غَفَرَ الله لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنَا إلى ربِّكَ ألاَ ترى إلى ما نحنُ فيه؟ ألاَ ترى ما قدْ بلغَنَا؟ فأنْطَلِقُ فآتِي تحتَ العرشِ فأقَعُ ساجِداً لربّي، ثم يفتح الله عليّ من محامِدِه، وحُسْنِ الثّناءِ عليه شيئاً لم يَفْتَحْهُ على أحدٍ قبْلِي، ثم يُقال: يا محمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسِي، فأقولُ: يا ربِّ أمّتِي يا ربِّ أمّتي، فيقولُ: يا محمَّدُ أدْخِلْ من أمّتِكَ من لا حسابَ عليهم مِنَ البابِ الأيْمن من أبوابِ الجنّة، وهم شركاءُ النّاسِ فيما سِوَى ذلك من الأبوابِ»، ثم قالَ ﷺ: «والّذي نَفْسِي بيدِهِ إنّ ما بينَ المِصْرَاعَيْنِ من مَصَارِيعِ الجنّة، كما بينَ مكّةَ وهَجَر، أو كما بينَ مكّةَ وبصْرَى»[1].

(١) صحيح البخاري ٨، ح ٤٧١٢ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ١٨٤.

البحث الثالث عشر:

ذكر النّار وعذاب أهلها أجارنا الله تعالى منها

كان أكثرُ دُعاءَ النَّبيِّ ﷺ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١) (٢).

وقالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بجهنَّمَ يومَ القيامةِ لها سَبْعُون ألْفَ زِمَامٍ معَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»(٣).

وقالَ رسول الله ﷺ: «نَارُكُمْ هذهِ الّتي يُوقِدُ بها بنُو آدَمَ جُزْءٌ واحدٌ من سبعين جُزْءاً من نارِ جهنَّمَ» قالُوا: واللهِ وإنْ كانتْ لكافيةً؟! قال: «إنّها فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستّين جُزْءاً كُلُّهُنّ مثلُ حَرِّها»(٤).

وقالَ رسول الله ﷺ: «لمّا خَلَقَ الله تعالى الجنّةَ والنّارَ، أرْسَلَ جبريلَ إلى الجنّةِ، فقال: انْظُرْ إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها، فجاءَ ونظرَ إليها وإلى ما أعدَّ اللهُ لأهلِهَا فيها، فرجعَ إليهِ فقالَ: وعزّتِكَ لا يَسْمَعُ بها أحدٌ إلاّ دَخَلَهَا، فأمرَ بها فَحُفَّتْ بالمَكَارِهِ، فقال: ارْجِعْ إليها فانْظُرْ إلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها، فرجَعَ إليها فإذا هي قد حُفَّتْ بالمكارِه فرجعَ إليه وقال: وعزّتِكَ لقد خِفْتُ أنْ لا يَدْخُلَها أحدٌ، فقال: اذْهَبْ إلى النّارِ فانْظُرْ إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها؛ فنظر إليها فإذا هي يركبُ بعضُها بعضاً، فرجعَ إليهِ فقال: وعزّتِكَ لا يسمعُ بها أحدٌ فيَدْخُلُها، فأمرَ بها فحُفّتْ بالشّهواتِ، فقال: ارْجِعْ إليها، فرجع إليها، فقال: وعزّتِكَ لقدْ خَشِيتُ أنْ لا يَبْقَى أحدٌ إلاّ دَخَلَها»(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٢) صحيح البخاري ١١، ح ٦٣٨٩ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٧١، من حديث أنس.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٤، من حديث عبد الله بن سعد.

(٤) صحيح البخاري ٦، ح ٣٢٦٥ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٨٤، من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٣، وأبو داود ٤، ح ٤٧٤٤، والنسائي ٧/ ٣، والترمذي ٤، ح ٢٥٦١، من حديث أبي هريرة، وقال الألباني: صحيح.

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ أهْوَنَ النّاسِ عَذَاباً، مَنْ لهُ نَعْلاَنِ وشِرَاكانِ مِنْ نارٍ، يغلي منهما دِمَاغُهُ كما يغلي المِرْجَلُ، وما يَرَى أنّ أحداً أشدَّ منهُ عَذَاباً وإنّه لأهونُهُمْ عَذَاباً»(١).

وقالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بأنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أهلِ النّارِ، فيصبغ في النّار صبغةً ثم يقالُ لهُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رأيتَ خيراً قطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لاَ والله يا ربِّ، ويُؤْتَى بأشدِّ النّاس بُؤْساً في الدُّنْيا من أهْلِ الجنّة فيُصْبَغُ صِبْغَةً في الجنّةِ، فيُقالُ لهُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رأيتَ بُؤْساً قطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لاَ والله يا ربِّ ما مرّ بي بُؤْسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدّةً قطُّ»(٢).

وقالَ رسول الله ﷺ: «يُرْسَلُ البُكَاءُ على أهْلِ النّارِ، فَيَبْكُونَ حتّى تنقطعَ الدُّمُوعُ، ثم يَبْكُونَ الدَّمَ حتى يصيرَ في وجوهِهِمْ كهيئةِ الأخْدُودِ، لو أُرْسِلَتْ فيها السُّفُنُ لَجَرَتْ»(٣).

«اللّهمَّ إنّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النّارِ، ومِنْ عملِ أهلِ النّارِ، اللّهمَّ أجِرْنَا منها بعزّتِكَ وجلالِكَ وكَرَمِك، يا ربَّ العالمين».

البحث الرابع عشر:

ذكر الجنّة ونعيم أهلها جعلنا الله تعالى منهم

قالَ رسول الله ﷺ: «إنّ ما بينَ النّفختين أربعُون سنة، ثم ينزلُ من السّماءِ ماءً فينبتُون كما ينبتُ البقلُ، وليسَ من الإنسانِ شيءٌ لا يَبْلَى إلاّ عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذّنَبِ، منهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامةِ»(٤).

(١) صحيح البخاري ١١، ح ٦٥٦١ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ١٩٦، عن النّعمان بن بشير.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٣٦٢، وابن ماجه ٢، ح ٤٣٢١، من حديث أنس بن مالك.
(٣) أخرجه ابن ماجه ٢، ح ٤٣٢٤، من حديث أنس بن مالك، وذكره الألباني في السلسلة الصّحيحة ١٦٧٩، وقالَ: والحديث بمجموع طرقه حسنٌ.
(٤) صحيح البخاري ٨، ح ٤٨١٤ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٠، من حديث أبي هريرة، واللّفظُ له.

وقالَ رسول الله ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الجنّةَ مِن أُمّتي سَبْعُون ألْفاً أو سبعمائة ألفٍ، متماسِكُون آخذٌ بعضُهُمْ بيدِ بعضٍ لا يدخلُ أوّلُهُمْ حتى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وجُوْهُهُمْ على صورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ»(١).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ أوّلَ زُمْرةٍ يَدْخُلُونَ الجنّةَ على صُورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ، والّذينَ يَلُونَهُمْ على أشدّ كوكبٍ دُرّي في السّماء إضاءةً، لا يَبُولُونَ ولا يَتَغوّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَتْفُلُون، أمْشَاطُهُمْ الذّهبُ، ورِشْحُهُمُ المِسْك، ومَجَامِرُهُم الأُلُوّةُ، أزواجُهُمُ الحُورُ العِينُ، أخلاقُهم على خُلُقِ رجلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدَمُ ستُّونَ ذِرَاعاً في السّماء»(٢).

وفي روايةٍ: «لكلٍّ واحدٍ منهم زوجتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِما مِنْ وَرَاءِ اللّحم، لا اختلاف بينَهُمْ، ولا تباغُضَ، قلوبُهُمْ على قلبِ رجلٍ واحدٍ، يُسَبِّحُونَ الله بُكْرةً وعَشِيّاً»(٣).

وقالَ رسول الله ﷺ: «يَدْخُل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ جُرْداً مُرْداً بيضاً جعاداً مُكحّلين أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين، وهم على خَلْقِ آدَمَ ستُّون ذِرَاعاً، في عَرْضِ تسعةِ أذْرُعٍ»(٤).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ موسى عليه السلام سألَ ربَّهُ ما أدْنَى أهلِ الجنّة منزلةً؟ قالَ: رجلٌ يجيءُ بعدَ ما أُدْخِلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، فيُقَالُ له: ادْخُلِ الجنّةَ، فيقولُ: أيْ ربِّ كيفَ وقدْ نزلَ النّاسُ منَازِلَهُمْ، وأخَذُوا أخَذَاتِهِمْ؟ فيُقالُ لهُ: أترْضَى أنْ يكونَ لكَ مِثْلُ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدّنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقولُ لهُ: لكَ مِثْلُ ذلكَ ومثلُهُ ومثلُهُ، فقالَ في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لَكَ وعَشْرةُ أمْثَالِهِ ولكَ ما اشتهتْ نَفْسُكَ ولذّتْ عينُكَ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، قالَ:

(١) صحيح البخاري ١١، ح ٦٥٤٣ «الفتح»، من حديث سهل بن سعد، وصحيح مسلم ١/ ١٩٧.
(٢) صحيح البخاري ٦، ح ٣٣٢٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤، ٢١٧٩، من حديث أبي هريرة.
(٣) صحيح البخاري ٦، ح ٣٢٤٥ «الفتح»، من حديث أبي هريرة، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٧٩.
(٤) أخرجه الترمذي ٤، ح ٢٥٤٥، من حديث معاذ بن جبل، وقال الألباني: حسن.

رَبِّ فأعْلاَهُمْ منزلةً؟ قال: أولئك الّذينَ أردت، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم تَرَ عَيْنٌ ولم تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطرْ على قَلْبِ بَشَرٍ»[١].

وفي رواية: «الأدْنَى أنّه إذا انقطعتْ به الأمانيّ، قالَ الله تعالى: هُوَ لكَ وعشرةُ أمثالِهِ، وأنّه يقول: ما أُعْطِيَ احدٌ مِثْلَ ما أُعْطِيتُ»[٢].

وقالَ رسول الله ﷺ: «إن أدْنَى أهلِ الجنّةِ منزلةً الّذي له ثمانُون ألْفَ خَادِمٍ واثنانِ وسَبْعُون زَوْجة، ويُنْصَبُ له قُبّةٌ من لؤلؤٍ وزُبرجدٍ وياقوت كما بينَ الجابيةِ إلى صَنْعَاء»[٣].

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ أهلَ الجنّةِ ليتراءَوْنَ أهلُ الغُرُفِ مِنْ فوقِهِم، كما يتراءى الكَوْكَبَ الدُّرِيّ الغابر في الأُفُق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينَهُم» قالوا: يا رسولَ الله منازلُ الأنبياء لا يملكها غيرُهُم؟ قال: «بلى والّذي نَفْسي بيدِهِ رجالٌ آمَنُوا بالله وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»[٤].

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّةِ مائةَ درجةٍ أعدَّهَا الله تعالى للمُجَاهِدِين في سبيل الله، ما بَيْنَ الدّرجتين كما بينَ السّماءِ والأرض»[٥].

وقالَ رسول الله ﷺ: «في الجنّة مائة درجة ما بينَ كلِّ درجتينِ مائةُ عامٍ»[٦].

وسُئِلَ ﷺ عن الجنّة فقال: «مَنْ يَدْخلُ الجنَّةَ يَحْيَا فيها ولا يموتُ، ويَنْعَمُ فيها ولا يَبْأَسُ، ولا تَبْلَى ثيابُهُ، ولا يَفْنَى شبابُهُ» قيلَ: يا رسولَ الله! ما بِنَاؤُها؟

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١٧٦، من حديث سفيان.
(٢) صحيح مسلم ١/ ١٧٥، من حديث أبي سعيد.
(٣) أخرجه الترمذي ٥، ح ٣٣٣٠، من حديث ابن عمر، وقال الألباني: صحيح، وأخرجه ابن حبان ٤، ح ٧٣٥٨، من حديث أبي سعيد.
(٤) صحيح البخاري ٦، ح ٣٢٥٦ «الفتح»، من حديث أبي سعيد، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٧٧.
(٥) صحيح البخاري ٦، ح ٢٧٩٠ «الفتح»، وأحمد ٢/ ٣٣٥، من حديث أبي هريرة.
(٦) أخرجه الترمذي ٤، ح ٢٥٢٩، من حديث أبي هريرة، وذكره الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٢٠٥٤، وقال: صحيح.

قال ﷺ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَب ولَبِنَةٌ من فِضّةٍ، ومِلاَطُها المِسْكُ وتُرَابُها الزَّعْفَران، وحصباؤها اللّؤلؤ والياقوت»(١).

والمِلاطُ بكسرِ المِيمِ هو ما يُبْنَى به أي: أنّ الطين الذي يُجْعَلُ بينَ لَبِنَاتِ الذّهبِ والفِضّةِ في الحائط مسك.

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ للمؤمن في الجنّة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوّفةٍ طولها في السّماء ستّون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطُوفُ عليهم المؤمنُ فلا يرَى بعضُهم بعضاً»(٢).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُها من بَاطِنها وباطِنُها من ظاهِرِها» فقال أبو مالك الأشعري: لِمَنْ هي يا رسولَ الله؟ قال: «لِمَنْ أطابَ الكَلاَمَ، وأطْعَمَ الطّعَامَ، وباتَ قائماً والنّاسُ نِيَامٌ»(٣).

وقالَ رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجنّة حَافّتَاهُ من ذهب ومَجْرَاهُ على الدُّرِّ واليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أطْيَبُ من المِسْك، وماؤُهُ أحْلى مِنَ العَسَلِ وأبيض من الثّلج»(٤).

وقالَ رسول الله ﷺ: «في الجنّةِ بحرٌ للماء، وبحرٌ للعَسَلِ، وبحرٌ للخمرِ، ثم تنشق الأنهارُ منها بعدُ»(٥).

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٩٧، من حديث ابن عمر، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن، وقال الألباني: صحيح، من حديث أبي هريرة ٦٦٠٨.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٢٤٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٨٢، واللّفظ له.

(٣) أخرجه الحاكم ١/ ٣٢١، من حديث أبي مالك الأشعري، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ١٩٢، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه الترمذي ٥، ح ٣٣٦١، من حديث ابن عمر القرشي، وذكره الألباني في صحيح الترمذي ٣٠/ ٢٦٧٧، وقال: صحيح.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٥، والترمذي ٢، ح ٢٥٧١، من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه، وذكره الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٢٠٧٨، وقال: صحيح.

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّةِ شَجَرَةً يسيرُ الرّاكِبُ في ظِلّهَا مائةَ عامٍ لا يقطَعُها، إنْ شئتُمْ فاقْرؤُوا: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾[1]»[2].

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة شجرةً يسيرُ الرّاكِبُ الجَوَادُ المُضَمَّرُ السّريعُ مائةَ عامٍ لا يَقْطَعُها».

وصحّ عن ابن عباس موقوفاً: الظِّلُّ المَمْدُودُ شجرةٌ في الجنّة على ساقٍ يسيرُ الرّاكبُ المُجِدُّ في ظلّها مائةَ عامٍ في نواحيها فيخرجُ أهلُ الجنّةِ وأهلُ الغُرَفِ وغيرُهُم فيتحدَّثُون في ظلّها، فيشتهي بعضُهم ويذكر لهو الدّنيا فيُرْسِلُ الله ريحاً من الجنة فتُحرِّك تلكَ الشجرةَ بكل لهو كان في الدنيا[3].

وقالَ رسول الله ﷺ: «يَأْكُلُ أهلُ الجنّةِ فيها ويَشْرَبُون ولا يَمْتَخِطُون، ولا يتغوَّطُونَ، ولا يَبُولُونَ، ولكنّ طعامَهُمْ ذلك جشاء كريحِ المِسْكِ، يُلْهَمُون التّسبيح والتكبير، كما يُلْهَمُونَ النَّفَس»[4].

وقالَ رسول الله ﷺ: «لكلِّ واحدٍ منهم زوجتَانِ مِنَ الحُورِ العينِ على كلِّ زوجةٍ سبعُون حُلّةً يُرَى مُخُّ سُوقِهما من وراءِ لحومِهِمَا وحُلَلِهِما، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»[5].

وقالَ رسول الله ﷺ: «ولكلِّ امْرِئٍ منهُمْ زَوْجَتَانِ اثنتانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهما مِنْ وَرَاءِ اللّحمِ، وما في الجنّة أعْزَب»[6].

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٠-٣١.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٣٢٥٢ «الفتح»، من حديث أبي هريرة.

(٣) ذكره الهيثمي عن ابن عباس بدون عزوه لمصدرٍ.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٠، من حديث جابر.

(٥) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤١١، من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الهيثمي: رواه الترمذي باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط، وإسناد رواية ابن مسعود صحيح.

(٦) صحيح البخاري ٦/ ٣٢٤٥ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٧٨، من حديث أبي هريرة، واللفظ له.

وقالَ رسول الله ﷺ: «إن أزواج الجنّةِ ليغنينَ أزواجَهُنّ بأحسنِ أصواتٍ، ما سمعَهَا أحدٌ قطّ، وإنّ ممّا يُغنّينَ به: نحنُ الخَيْرَاتُ الحِسَانُ، أزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، ينظرون بقرة أعيان، وإنّ ممّا يُغنين به: نحن الخالدَاتِ فلا نمتنه، ونحن الآمِنَاتُ فلا نخفنَهُ، ونحنُ المقيماتُ فلا نظعنَهُ»(١).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة لسوقاً يأتونها كلَّ جمعةٍ فتهبُّ ريحُ الشّمال فتحثُو في وجوهِهِم وثيابِهِم فيزدَادُون حُسْناً وجمالاً، فيرجعُون إلى أهليهم وقد ازْدَادُوا حُسْناً وجمالاً، فيقولُ لهم أهلُوهم: والله لقد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وجَمَالاً، فيقولون: وأنتُم والله لقد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وجَمَالاً»(٢).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنّةَ يقولُ الله ﷻ: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولُون: ألَمْ تبيّضْ وُجُوهَنَا؟ ألَمْ تُدْخِلْنَا الجنّةَ وتُنجّنَا من النّار؟ قال: فيكشِفُ الحجَابَ، فما أُعْطُوا شيئاً أحبَّ إليهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى ربِّهم، ثم تَلاَ هذهِ الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣)»(٤).

وقالَ رسول الله ﷺ: «قالَ الله ﷻ: أعْدَدْتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ، اقْرَؤُوا إنْ شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٥)»(٦).

وقالَ رسول الله ﷺ: «إذا دَخَلَ أهْلُ الجنّةِ الجنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: آنَ لكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تسقُمُوا أبداً، وآن لكم أنْ تَحْيُوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وآنَ لكُمْ أنْ تَشِبُّوا

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤١٩، من حديث ابن عمر، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٨، من حديث أنس بن مالك.
(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٤) صحيح مسلم ١/ ١٦٣، من حديث صهيب.
(٥) سورة السّجدة، الآية: ١٧.
(٦) صحيح البخاري ٦/ ٣٢٤٤ «الفتح»، من حديث أبي هريرة، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٧٥.

فلا تَهْرَمُوا أبداً، وآنَ لكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تيأسُوا أبداً، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]»[2].

وقالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أمْلَح فَيُنادِي منادٍ: يا أهْلَ الجنَّةِ! فيَشْرَئِبُّون - أي يمدُّون أعناقهم لينظروا - وينظرون ويقولُ: هلْ تَعْرِفُون هذا؟ فيقولُونَ: نعم هذا الموتُ، وكلُّهم قد رَأَوْهُ، ثم يُنَادِي منادٍ: يا أهلَ النّارِ! فيشرئبون وينظرون، ويقولُ: هلْ تعرفُونَ هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُّهُم قد رأوْهُ فيُذْبَحُ بينَ الجنّةِ والنّارِ، ثم يقول: يا أهلَ الجنّة خُلُودٌ بلا موتٍ، ويا أهلَ النّارِ خُلُودٌ بلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] وأشارَ بيدِهِ إلى الدّنيا»[4].

وفي رواية: «ثُمَّ يقومُ مؤذِّنٌ بينَهُمْ فيقولُ: يا أهْلَ الجنّةِ لا موتٌ، ويا أهلَ النّارِ لا موتٌ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه»[5].

جعلنَا الله مِنْ أهلِ الجنَّةِ الّذينَ أحلَّ عليهم رِضْوَانَهُ، وأدَامَ لهم جُودَهُ وكَرَمَهُ وإحسَانَه، وأمَّنَنَا في الدّارَيْنِ من سائر الفتن والمِحَن إنّه على كل شيءٍ قديرٌ وبالإجابةِ جدير، آمين آمين آمين.

وهذا آخرُ ما قصدتُهُ، وتمامُ ما أردتُهُ والحمدُ لله الّذي هَدَانَا لهذا وما كُنّا لنهتَدِيَ لولا أنْ هدَانَا الله، والحمدُ لله أوّلاً وآخِراً وباطناً وظاهراً، يا رَبَّنَا لكَ الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهِكَ وعظيم سُلْطَانِكَ، سبحانَكَ لا نُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ، فلَكَ الحمدُ دائماً أبداً، حمداً يُوافي نِعَمَكَ ويُكافئُ مَزِيدَكَ عدَدَ خلقِكَ ورِضَا نَفْسِكَ، وزِنَةَ عَرْشِكَ، ومِدَادَ كلماتِكَ، وصَلِّ يا ربَّنَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٢، من حديث أبي هريرة.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ٤٧٣٠ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٨٨، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٩، من حديث عبد الله.

وسَلِّم وبارِكْ أفضلَ صلاةٍ وأزكى سلامٍ وأعظمَ بركةٍ على عَبْدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ أشْرَفِ الخَلْقِ، ورسولِ الحقِّ المؤيَّدِ من ربِّ العالمين بالصِّدْقِ، سيّدنا محمّد وآله وأصحابه وأزواجه وذرّيته الطّيّبين الطّاهرين، كما صليتَ وسلمتَ وباركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ، عَدَدَ خَلْقِكَ ورِضَا نَفْسِكَ وزِنَةَ عَرْشِكَ، ومِدَادَ كلماتِكَ، كلّما ذكرَكَ وذكرَهُ الذّاكِرُون، وكلّما غفَلَ عن ذكرِكَ وذكرِه الغافلون. قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

البحث الخامس عشر:

الإيمان بالقدر خيره وشره

وتُؤمنُ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ وهو تقديرُ الله تعالى للكائناتِ حَسْبَما سبَقَ بهِ علمُهُ واقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.

وللقدرِ أربعُ مراتب:

المرتبةُ الأُولَى: العلمُ؛ فتُؤمنُ بأنّ الله تعالى بكل شيءٍ عليمٌ، عَلِمَ ما كانَ وما يكونُ وكيفَ يكونُ بعلمِهِ الأزليّ الأبديّ، فلا يتجدّدُ له علم بعدَ جهلٍ، ولا يلحقُهُ نِسيَانٌ بعدَ علمٍ.

المرتبةُ الثّانيةُ: الكتابة؛ فتُؤمنُ بأنّ الله تعالى كتبَ في اللّوح المحفوظِ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[2].

المرتبة الثّالثة: المشيئةُ؛ فتُؤمنُ بأنّ الله تعالى قد شاءَ كلَّ ما في السّمواتِ والأرضِ لا يكونُ شيءٌ إلاّ بمشيئتِهِ ما شاءَ الله كان، وما لمْ يشأْ لم يكُنْ.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٠.

المرتبةُ الرابعةُ: الخَلْقُ؛ فنُؤمِنُ بأنّ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1].

وهذه المراتبُ الأربعُ شاملةٌ لما يكونُ من الله تعالى نفسهِ، ولما يكونُ من العبادِ، فكلُّ ما يقوم به العبادُ من أقوالٍ أو أعمالٍ أو أفعالٍ أو تروكٍ فهي معلُومةٌ لله تعالى، مكتُوبةٌ عندَهُ. واللهُ تعالى قدْ شاءَها وخلقَها: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[3] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[4] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[5].

ولكنّنا معَ ذلك نؤمنُ بأنّ الله تعالى جعَلَ للعبدِ اختياراً وقُدْرةً بهما يكونُ الفعل.

والدّليلُ على أنّ فعلَ العبدِ باختياره وقدرتِه أمور:

الأوّلُ: قولُه تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[6] وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[7]. فأثبتَ للعبدِ إتياناً بمشيتهِ وإعداداً بإرادتهِ.

الثاني: توجيه الأمْرِ والنّهي إلى العبدِ ولو لم يكنْ له اختيارٌ وقدرةٌ لكان توجيهُ ذلك إليكِ من التّكليف بما لا يُطاقُ، وهو أمرٌ تأباهُ حكمةُ الله تعالى، ورحمتُهُ وخبرُهُ الصّادق في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[8].

الثالث: مدحُ المُحْسِنِ على إحسانِهِ، وذمُّ المسيءِ على إساءَتِهِ، وإثابة كلٍّ منهما بما يستحقُّ.

ولولا أن الفعل يقع بإرادةِ العبدِ واختيارِهِ لكانَ مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً، والله تعالى منزّهٌ عن العَبثِ والظّلم.

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٦٢-٦٣.
(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨-٢٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.
(٥) سورة الصّافات، الآية: ٩٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الرّابعُ: أنّ الله تعالى أرسلَ الرُّسل: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١].

ولولا أنّ فعلَ العبدِ يقع بإرادتهِ واختيارِهِ ما قامتْ حجّتُهُ بإرسالِ الرُّسلِ.

الخامس: أنّ كلَّ فاعلٍ يُحسُّ أنّه يفعل الشّيءَ أو يتركه بدون أيّ شعور بإكراهٍ فهو يقومُ ويقعُدُ ويدخلُ ويخرجُ ويُسافر ويُقيمُ بمحض إرادتهِ، ولا يشعرُ بأن أحداً يُكرِهُهُ على ذلك، بل يفرق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره، وبينَ أنْ يُكرهَهُ عليه مُكْرِهٌ، وكذلك فرَّقَ الشّرعُ بينهما تفريقاً حكيماً فلم يُؤاخذِ الفاعلَ بما فعلَهُ مُكْرَهاً عليه فيما يتعلّقُ بحقّ الله تعالى.

وترَى أنّه لا حُجّةَ للعاصي على معصيتهِ بقدرِ الله تعالى؛ لأنّ العاصي يُقْدِمُ على المعصية باختيارِهِ من غيرِ أن يعلم أنّ الله تعالى قدَّرَها عليه، إذْ لا يعلم أحدٌ قَدَرَ الله تعالى إلاّ بعدَ وقوع مَقْدُورِهِ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[٢]. فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمُها المحتجُّ بها حينَ إقْدَامِهِ على ما اعتذرَ بهِ عنهُ. وقد أبْطَلَ الله تعالى هذه الحُجّة بقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[٣].

وتقُولين للعاصية المحتجّة بالقدر لماذا لم تقدِمي على الطّاعة مقدرةً أنّ الله تعالى قد كتَبَها لكِ، فإنّه لا فَرْقَ بينَها وبين المعصيةِ في الجهلِ بالمقدورِ قبلَ صُدُورِ الفعلِ منكِ؟! ولهذا لمّا أخبر النَّبيُّ ﷺ الصّحابةَ بأنّ كلَّ واحدٍ قد كُتِبَ مَقْعَدُهُ من الجنّةِ ومَقْعَدُهُ مِنَ النّارِ، قالوا: أفَلا نَتّكِلُ ونَدَعُ العملَ؟ قال: «لا، اعْمَلُوا فكُلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلِقَ لهُ»[٤].

---

(١) سورة النّساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٨/ ١٥٤، كتاب القدر، وكذا في التوحيد ٩/ ١٩٥، وفي تفسير سورة الليل، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٠، كتاب: القدر، حديث ٧، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتقولين للعاصية المحتّجة بالقدر لو كنتِ تريدين السَّفر لمكّةَ وكان لها طريقان وأخبركِ الصّادقُ أن أحدَهما مخوفٌ صعبٌ، والثّاني آمِنٌ سهلٌ، فإنّكِ ستسلكينَ الثّاني ولا يمكن أن تسلكي الأوّل، وتقولين إنّه مقدّرٌ عليَّ، ولو فعلتِ لعدّكِ النّاسُ في قسم المجانين.

وتقولين لها أيضاً لو عُرِضَ عليكِ وظيفتان إحداهما ذات مرتّبٍ أكبر، فإنّكِ سوف تعملين فيها دون النّاقصة، فكيفَ تختارين لنفسكِ في عملِ الآخرة ما هو الأدْنَى ثم تحتجين بالقدر؟.

وتقولين لها أيضاً: نراكِ إذا أُصِبْتِ بمرض جسمي وطرقتِ بابَ كلّ طبيب لعلاجِكِ وصبرتِ على ما ينالُكِ من ألمِ عمليةِ الجراحة وعلى مرارةِ الدّواءِ، فلماذا لا تفعلين مثلَ ذلك في مرضِ قلبكِ بالمعاصي؟!.

وتُؤمنُ بأنّ الشّرَّ لا يُنْسَبُ إلى الله تعالى لكمالِ رحمتهِ وحكمتِهِ، قال النّبيّ ﷺ: «**والشّرُّ ليسَ إليكَ**»[1]. فنفسُ قضاءِ الله تعالى ليس فيه شرٌّ أبداً، لأنّه صادرٌ عن رحمةٍ وحكمةٍ.

وإنّما يكونُ الشّرُّ في مقتضياته لقولِ النّبيّ ﷺ في دعاء القُنُوتِ الذي علَّمَهُ الحَسَنَ: «**وقِني شرَّ ما قضيتَ**»[2].

فأضافَ الشّرّ إلى ما قَضاهُ. ومع هذا فإنّ الشّرّ في المقتضيات ليسَ شراً خالِصاً محضاً، بل هو شرٌّ في محلٍّ من وجه، خيرٌ من وجهٍ، أو شرٌّ في محله، خيرٌ في محل آخر.

فالفسادُ في الأرض من الجدبِ والمرضِ والفقرِ والخوفِ شرٌّ، لكنّه خيرٌ في

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٥٣٥، صلاة المسافرين، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرج حديث دعاء القنوت أبو داود في سننه ٢/ ١٣٣ الوتر، والنّسائي في سننه ٣/ ٢٤٨ قيام اللّيل، والترمذي في ١/ ٢٨٩ أبواب الوتر، وقال: حيث حسن لا نعرفُهُ إلاّ من هذا الوجه، وابن ماجه في ١/ ٣٧٢ إقامة الصلاة، وأحمد في مسنده ١/ ١٩٩ - ٢٠٠، والدّارمي في سننه ١/ ٣٧٣.

محلٌ آخرَ، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

وقطعُ يَدِ السّارقِ، ورَجْمُ الزّاني المحصن شرٌّ بالنّسبة للسارق والزّاني في قطع اليَدِ وإزْهاقِ النّفْس، لكنّه خيرٌ لهما من وجهٍ آخر حيثُ يكون كفارةً لهما فلا يجمعُ لهما بينَ عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضاً خيرٌ في محل آخر حيثُ إنّه في حمايةَ الأموالِ والأعراضِ والأنساب.

وهكذا ترى المؤمنةُ جميعَ أقدارِ الله تعالى من هذا الاعتبار؛ أنّ أقدارَ الله تعالى خيرٌ كلُّها.

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.